إسلامٌ لِلبيع

تَألِيفُ العَلاَّمَةِ
أحمَدِ القطْعَانِي

الطَّبْعَةُ الأولى 1439هـ، 2018م

النَّاشِرُ
دَارُ بُشْرَى وكلْثوم

إســــــلامٌ لِلبيع

تَألِيفُ العَلاَّمَةِ

أحمَدِ القطْعَانِي

الطَّبْعَةَ الأولى 1439هـ،2018م

النَّاشِرُ

دَارُ بُشْرَى وكَلْثُوم

سمعت عمن باع منزله لينفقه على ملذاته فحزنت، وعن آخر باع زوجته وابنته بقطعة مخدرات فاستغربت، بل وسمعت عمن باع كليته وعينه وعروقه لشدة فقره وعوزه فتألمت، ولكنني ما كنت أعتقد قط أن نصل إلى اليوم الذي نرى فيه من يعرض دين الإسلام سلعة رائجة في واجهات السوبر ماركت على مرأى من العالم ،،، والزبائن هم المسلمون أنفسهم.

أحمد سالم كريم القطعاني

ولا تعثوا في الأرض مفسدين

الحــضارة هي جنة الدنيا، ولكن كيف يدخل الجنة من لا يؤمن بها ويعمل لها؟ .

===========

هو شخص متكامل أعضاء الجسد يبدو صحيح العقل والبنية يحسن الحديث يرتدي الثياب ويسير في الشوارع، ولكنه ويا للعجب إذا ما وضعت له تمرة وجمرة في طبق واحد مد يده إلى الجمرة ووضعها في فمه متلذذا وترك التمرة، وإذا ما خيرته بين الجلوس على أريكة ناعمة وكوم دمن مبتل عفن فضل الأخير فجلس عليه ثم مد رجليه وغط فوقه في سبات عميق، تنثر عرف الياسمين أمامه ليشمه فيبعد يدك متأففا رافضا ويتناول قبضة روث ليستنشق رائحتها العفنة النتنة.

إنه كائن بشري بالفعل ولكنه ليس متخلفا فقط بل مصر على التخلف!! ففي حين ينحت بنو الإنسان حولنا الحجر الصلد بأصابعهم المجردة ليتقدموا في كل يوم خطوة إلى الأمام ويتشبثون بكل إنجاز يحققونه ويستميتون في الدفاع عنه والتمسك به والإشادة بوجوده يسير هو في الاتجاه المعاكس فيحرص على أن يزداد في كل يوم تأخرا وتقهقرا.

أنا لا أقصد بالطبع أولئك الخيرين الطيبين المُصلحين الذين هم غالبية مجتمعنا بحمد الله، وإنما أقصد فئة منا يفسد أحدهم في ساعة ما تعب الآخرون سنينا لتحقيقه، والهدم دائما أسرع وأظهر من البناء فلا همَّ للواحد منهم إلا إفساد كل ما في حيه ومدينته، وركل كل مُنجز بقدمه وإتقان التهرب من واجب البذل والعطاء والتعمير ثم يجلس في المساء ليشرب الشاي مع أصدقائه ويدخن لفائف سيجارته ويلعن هذه البلد لأن شوارعها ليست نظيفة مثل شوارع باريس، ولا نظام الناس فيها مثل كوبنهاجن، ولا سكانها مثل سكان السويد، ولا أسواقها مثل نيويورك.

وللأسف الشديد فإن هذا الإنسان هو مواطن ليبي ولد في ليبيا وعاش فيها وأكل من خيرها وشرب من مياهها وقرأ في مدارسها وصلى في مساجدها وسيدفن بعد عمر طويل إن شاء الله في أديمها.

في الطريق الواقعة بمحاذاة الطريق الساحلي بقرب وادي الكوف تجد مواطنا عمد إلى اللوحات المعدنية الصفراء التي على جانبي الطريق تظهر لسائق السيارة المسافات الباقية للوصول إلى المدينة التالية ليتزود بالوقود أو يأكل أو يستريح فنزعها عن كل الأعمدة الخرسانية القصيرة الملصقة بها ليصنع منها حظيرة لأغنامه ظاهرة للعيان ولا يحرك أحد ساكنا.

في مدن وقرى أخرى تتجول الأغنام والأبقار وأحيانا الإبل في الشوارع ليلا لتأتي على كل شجرة أو عشبة خضراء تحاول أن تطل برأسها لتضفي على بلادنا جمالا ورونقا.
الأوتاد المعدنية تدق في الطرقات لتثبيت الخيام والسرادقات في المناسبات المختلفة فتدك الأسفلت وتخلخل تماسكه مما يسمح بدخول الماء في طبقاته فيتشقق ويفسد ثم نرفع أيدينا لنسأل الله تعالى الرحمة للمتوفى والتوفيق للمتزوج.
أعمدة الإنارة تنير الشوارع وتؤنس السائر والمسافر وتوفر الأمان للمرأة والعجوز والطفل والضعيف يرشقها بالحجارة صبيان تركهم أهلهم للشوارع والأزقة تربيهم فيحيلونها شظايا متناثرة.
الأشجار لا نستطيع أن نتطاول إلى مستوى زرعها وتقليمها وأن يسقي كل منزل منا ما جاوره منها، وأن يشجر كل حي سكني الفراغات والأرصفة الواقعة حوله بل تضاءلت أمانينا حتى صرنا كل ما نطلبه بل نرجوه هو عدم قطع وإتلاف ما ابتلاه الله منها بوجوده بيننا.
المباني العامة والدوائر الحكومية متجهمة عابسة حائلة الطلاء متكسرة الأثاث تخلو مكاتبها الكئيبة من أي لمسة جمالية ولو مزهرية بها ورود لا تكلفنا دينارا واحدا.
مباني المدارس ننفق عليها الملايين بناء وصيانة ليحيلها الطلاب بعد عام قتالي - أقصد دراسي - واحد إلى خراب يباب كأن حربا أهلية ضروسا نشبت بين فصولها.

<u>متى نعلم أن المباني قيمة إنسانية ودلالة على تحضر أهلها؟</u>

وأن تأخر المرتبات ومشاكلك في العمل أو شجارك مع جيرانك أو ما سقت من أسباب وأعذار كلها ليست مبررا لتأخذ صناديق الزبالة المخصصة لحفظ مدينتك من آفات التلوث وأمراض القاذورات إلى سطح منزلك لتحولها إلى خزان لمياه الشرب.
العقارات والأراضي التي أوقفها الخيرون لله تعالى قاومت الاستعمار الأسباني وسيوف فرسان القديس يوحنا والاستبداد التركي والاحتلال الإيطالي والحكم الانجليزي والحاكم الفرنسي لتصل إلى عصرنا سليمة كاملة غير ناقصة فتتفنن في أساليب سرقتها وإهدارها حتى لم يعد منها اليوم ما ينقع للظمآن اللهاة.
المستشفيات تُبنى وتؤثث وتوفر لها الدولة المستلزمات الطبية لنسرق جهارا نهارا أثاثها وأجهزتها وأغطيتها وأسرتها وأدويتها ويضطر المريض لإحضار بطانيته ووسادته إن أراد النوم بها.

وطبيب يتعمد إفساد الأجهزة والمستلزمات الطبية كي لا يثقل نفسه بالعمل عليها، وطبيب آخر تقبض عليه الشرطة وهو يُهرب كرسي طب أسنان ليبيعه في مصر، بينما في دول مجاورة الناس هم من يبنون المدارس والمستشفيات ومراكز الشرطة من جيوبهم على فقرهم ويحافظون من تلقاء أنفسهم على كل حجر فيها كما يحافظون على أولادهم لأنهم يعرفون أن الفائدة تعود عليهم، ومن المقارنات المخجلة أن الدرج الذي درس عليه الملك حسين عاهل الأردن السابق في مدرسة فكتوريا الاعدادية بالإسكندرية لا يزال في نفس الفصل ويجلس عليه التلاميذ حتى يومنا هذا.

ضابط شرطة يُقبض عليه في الحدود وقد قطع رأس تمثال حسناء رومانية من مدينة شحات ليهربه ويبيعه، وبوابة في الطريق الساحلي أوجدت لتكون أمانا للمسافر وتطمينا للغريب والخائف وواحة ثقة للأسرة المتنقلة بسيارتها تحولت إلى كمين لابتزاز التجار وأصحاب الحافلات والسيارات الكبيرة وحملة البضائع يرغمونهم على دفع إتاوات وإلا عرقلوهم بالنظر في الاجراءات والتراخيص وسواها فيضطرونهم للدفع صاغرين.

عباقرة في تحويل كل مصلحة للبلاد إلى خطب جميلة وأحاديث طويلة عن نكران الذات والإخلاص والبذل والعطاء ودفع عجلة الإنتاج إلى الأمام ليتضح أنهم وراء إفشال كل تطلع لنا نحو الأمام، وأن همهم الأكبر هو ما يدخل حساباتهم داخل وخارج البلاد من مال حرام يحصلون عليه وسيارات ومكافآت وهواتف نقالة وخدمات لأشخاصهم وذويهم حتى أدى بنا الأمر على أيديهم إلى فضيحة عالمية ممثلة في تقرير مرعب صادر عن منظمة الشفافية العالمية وزعته اللجنة الشعبية العامة ممهورا بتوقيع كاتبها العام د. فوزي المقصبي لا لنجد فيه تقديرا واحتراما لنا ولنظمنا الإدارية وسماتنا الإنسانية بل ليفجعنا فيه توبيخ دولي وقد أدرجنا ضمن أكبر عشر دول قد استشرى فيها داء الفساد الإداري على مستوى العالم.

عمولات ورشاوى وذمم فاسدة في الأمانات والشركات تجاوزت المعقول واللامعقول مما دفع بصحيفة الزحف الأخضر في عددها 3812 للصراخ بأعلى صوتها طالبة الكشف عن المخالفات والتجاوزات والاختلاسات للمال العام ونهبه والاستيلاء عليه في مشاريع وهمية وبحجج صيانة مدارس متهالكة.

إن الفساد **حرام حرام حرام** ليس في الإسلام وحده بل في كل الشرائع السماوية ويستوجب عذاب الدنيا قبل الآخرة، ولنحذر أن يصيبنا ما أصاب ثمود قوم سيدنا صالح إذ قال لهم:

{وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ - الأعراف 74}

ومدين قوم سيدنا شعيب إذ قال لهم: {**وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** - هود 85} فخالفوهما واقرأ القرآن الكريم لتعرف ما أنزل الله تعالى بهم من عقوبة مهولة لفسادهم نسأل الله السلامة.

صناديق هواتف عمومية في الشوارع كما تفعل كل دول العالم لتوفير خدمة للمارة وتيسير مصالح الناس نسرقها ونقطع أسلاكها، وكأننا لم نرها في الطرق النائية الخالية في دول مجاورة لا يحرسها إلا وعي المواطن ومعرفته بأهميتها له إذا ما تعطلت سيارته أو وقع حادث أو مرض فجأة فتكون هي طوق نجاته.

الحياة البرية بحيواناتها وطيورها كل العالم يهتم بها ويبني لها المحميات ويوفر لها المراكز الطبية والملاذ الآمن أما عندنا فالويل لها كل الويل لقد أفنينا الودان والغزال والبقر الوحشي والضباع والفنك والنمور والنعام والصقور وأصناف الطيور التي كانت إلى عهد أدركناه من الكثرة بحيث تدخل علينا النواجع في البادية وصار شبابنا لا يسمعون عنها إلا في أحاديث الكهول كأنها أساطير الأولين، ولا تزال ضواحي شعبية البطنان حتى هذه الساعة تتحول في الشهر التاسع من كل عام إلى ساحة حرب عالمية ثالثة كلها كمائن وأسلحة وشباك وأشجار مقطوعة وهمية لخداع الطيور المتعبة من السفر لتُقتل حالما تضع أرجلها عليها حتى أنها صارت تغير خط هجرتها الذي دأبت عليه منذ ملايين السنين وعما قريب جدا سنشتهي مرورها قطعا على أراضينا!! ويفتخر أحدنا بأنه قتل أحد هذه الطيور فوجد في رجله حلقة معدنية بها أرقام وعنوان فبعث لهم ليذكرهم بأنهم لا يبالون بقتل العرب في فلسطين بينما يحمون الطيور!! ولا يعرف هذا المسكين أن هذا التصرف يفتك بالعرب أضعاف ما تفتك بهم الصواريخ التي تسقط على جنين وخان يونس .

مصارف يودع بها الناس أموالهم وما ادخروه في سني عمرهم لحج بيت الله الحرام أو تزويج ابن أو بنت أو شراء منزل أو الدخول في مشروع استثماري تتبخر في الهواء وسط ذهول الجميع وتضبط صحيفة الشمس في عددها 2941 أحد هذه المصارف وقد اكتشف فيه اختلاسات وتلاعبات بحسابات العملاء بملايين الدينارات ،، ولكن بعد فوات الأوان.

مواد القانون صريحة في منع قطع أشجار النخيل والزيتون ومع هذا نقطعها غير آبهين ولا مهتمين بقيمتها وكونها مخازن أمننا الغذائي الاستراتيجي القومي.

الآثار يجرم القانون عندنا من يعتدي عليها وهي مع ذلك مرتع ممتاز للحيوانات وملعب جيد للأطفال لا سيما بما يوفره الشباك المهلهل الملتف حولها من رعاية طبيعية غير مكلفة،

ويمنع القانون نفسه المساس بالمدن القديمة أو هدمها أو تحويرها وأين هي مدننا القديمة اليوم؟
فإما أنها هدمت فعلا أو أخذ التخطيط العمراني أطرافها أو سكنها من لا نعرفهم وحولوها إلى مصانع لبيع الخمور وغرز لتعاطي المخدرات وأصناف الموبقات، بينما تتحول العاصمة المالطية {فاليتا} على مقربة منا إلى محمية أثرية بكاملها طرقا ومبان بما في ذلك شوارعها وأسماؤها حتى العربية منها التي تذكرنا بعز مضى (سليمه، والحمروني، وبوجبه، والمدينه، والجامع، وعين التفاحة) فلا يزال منها حجر إلا بترخيص رسمي ويلتزم الجميع.

ما الذي يحدث؟
الزبالة في الميادين والشوارع تتراكم فوق بعضها تنشر الأمراض والأوبئة تعينها في ذلك المستنقعات والمياه السوداء التي يلعب فيها الأطفال ويضطر لخوضها المارة !!
مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية وجامعية يؤسفني أن أقول وقد أمضيت في مهنة التعليم المقدسة قرابة ربع قرن من عمري عملت فيها في مختلف الوظائف التعليمية معلما ومديرا ورئيسا للجان امتحانات وإعداد مناهج أنها ليست سوى مراكز محو أمية، وظللت أمني نفسي باحتمال خطأ تقييمي حتى يوم كنت أتصفح فيه العدد 3909 من صحيفة الجماهيرية لأجدها تردد رأيي عينه كأنني أسمع صدى صوتي بين صفحاتها، قائلة: إن ضعف المستوى الثقافي يأتي في مقدمة أسبابه تدهور قطاع التعليم الذي أصبح يضخ آلاف الخريجين شبه الأميين من حملة الشهادات العليا والمتوسطة.ا.هـ.
في كل دول العالم لا يُبنى المنزل إلا وينصب صندوق بريد يحمل اسم صاحبه عند مدخله في الهواء الطلق، ولا يفكر أحد قط في مد اليد عليه أو العبث بمحتوياته، ونحن لا نستطيع أن نتخيل مجرد وجوده أمام منازلنا لأننا على ثقة مسبقة بما سيحل به وحرمنا أنفسنا بالتالي من خدمة حضارية عالمية.
لقد صفع طفل في دولة أجنبية بعضا من رجالنا البالغين الراشدين حيث ألقى أحدهم بعلبة سجائره بعد أن أتمها في الطريق فما دروا إلا وطفل في العاشرة يلتقطها من غير أن يوجهه أحد ويسير بها إلى سلة نفايات صغيرة على الرصيف فيلقيها فيها أمامهم ويمضي في حال سبيله.
إن الطرق والهاتف العمومي وصندوق البريد وعلامات الطريق وأعمدة الإنارة كلها مكاسب ثمينة جدا يجب أن نحافظ عليها لمصلحة كل فرد فينا على حده، فعمود الإنارة في

الشارع يضيئ لك أنت شخصيا إذا ما رجعت ليلا وينير الطريق لوالدك ووالدتك وأخيك الصغير وصديقك، فعلامنا نتغاضى عن طفل لم يحسن أهله تربيته وتركوه للشارع ليكون سلاح دمار شامل إذ نراه يرشقه بالحجارة حتى يفسده؟.
المدرسة والمستشفى أنت شخصيا المستفيد من وجودهما لا أحد غيرك فعلامك تناصبهما العداء؟
نظافة مدينتك هي باب صحتك التي ائتمنك الله عليها بمحافظتك على عافيتك وسلامتك من الأمراض وعيشك أنت وأسرتك في سعادة وقوة وعافية.
ازرع ما حول منزلك من فراغات بالأشجار المثمرة أو الزينة وحافظ عليها بالسقيا والعناية والرعاية من الحيوانات وستجد حيك أخضر جميلا وبيتك لوحة فنية بديعة وقد احتوته الخضرة اليانعة من كل جانب، ففي بريطانيا يزرع المواطنون التفاح في الشوارع ليلتقط منه من أراد، وأنت ومدينتك وأهلك أولى بهذا منهم، وفي ألمانيا يزرعون الكستناء (القسطل) وفي غينيا والسنغال المانجو، وفي الأكوادور والتشيلي وبنما الموز، وأبوظبي التي كانت في السبعينات صحراء قاحلة هي اليوم غابات خضراء مورقة.
والمكتب الذي تزاول فيه عملك الذي يكفل لك حياة كريمة وتحقق أنت ذاتك من خلاله وتنفق على أولادك منه يستحق منك بعض التقدير أيضا، وكيس الجير لا يتجاوز الثلاثة دنانير تستطيع أن تتفق مع زملائك على طلائه من الخارج في يوم واحد، أما تزيينه من الداخل ببعض النظام والزهور فهو أيسر من كل ذلك.
الذي أريد قوله أن مسؤولية الرقي بهذا البلد هي على عاتق كل واحد فينا، وإننا نحن من يستفيد من البلاد النظيفة والشجرة والمدارس الجميلة المنظمة وسواها، وما لم نفهم هذا جيدا ونعمل به ونقنع اصدقاءنا وأقرباءنا به فإننا سنبقى ننظر في شاشات الفضائيات متحسرين متمنين أن تمطر السماء ذهبا وفضة وهي لن تمطر إلا دموعا تبكيها أسفا وحزنا على قوم يأملون مالا يكون فيكونون ما لا يأملون.

إلا كافة للناس

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ - سبأ 28}

==========

آن الأوان لنفتح نحن العرب أعيننا على حقيقة طالما سطعت كشمس الضحى ونصعت كبياض الثلج فنرى أن الإسلام قيمة عظيمة لا تقيده الجغرافيا ولا يحده التاريخ ولا تعوقه الجبال ولا تجرفه الشلالات ومياه الأنهار ولا تتقاذفه أمواج البحار لأنه أجل وأكبر من أن تحتويه لغة أو عرق أو ثقافة أو لون.

العرب هم مادة الإسلام الأولى وقلب جسده الكبير فمنهم نبيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي العربي صلى الله عليه وآله وسلم وبلسانهم يتلى كتاب الله الكريم **{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** - الشعراء 192،193، 194، 195} والخلفاء الراشدون عرب والصحابة كلهم عرب عدا قلائل منهم، والفقهاء أئمة المذاهب هم عرب أيضا والحديث الشريف دوّن بلغة العرب، كل هذا لا خلاف فيه وينبغي أن نتوقف عنده بوعي تام لأبعاده لا أن نواصل عربنة الإسلام.

فالذي يجب أن نفهمه ونتيقنه أن عربنة الإسلام تفقده أهم خصائصه ألا وهي عالميته وأنه ليس لنا وحدنا فقط بنو يعرب حكرا علينا بل نحن جزء صغير محدود فقط من شموليته الا متناهية وأن الله تعالى أراده للناس كافة بكل لغاتهم وأجناسهم وتاريخهم وأفكارهم ونحن من هؤلاء الناس ولسنا ولم ولن نكون كل الناس .

ومنذ مدة قريبة ظهرت على مسرح الأحداث بحضور عالمي كبير سيدة مسلمة سوداء متحجبة أمريكية المولد والنشأة في الثانية والخمسين من عمرها من أصول أفريقية مسلمة هي د. آمنه ودود وهي أستاذة بدرجة بروفسور في الدراسات الإسلامية في جامعة فرجينيا كومن ولث الأمريكية متخصصة في تدريس الإسلام في الجامعات الأمريكية وغيرها وهي أيضا عالمة وداعية إسلامية مشهورة جدا على مستوى العالم غير العربي ولها مساهماتها القوية الفاعلة في مجال الدعوة الإسلامية والذود عن الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية وهي عضو هام في منظمة (مسلم ويك أب) أي منظمة الصحوة الإسلامية، كما أنها من أبرز قيادات اللوبي السياسي الضاغط على الإدارة الأمريكية لصالح المسلمين في العالم وقضاياهم ولها كتاب اسمه {المرأة والقرآن} ولها تفسير لبعض سور القرآن الكريم منشور باللغة الإنجليزية يعتبر من أهم التفاسير الدعوية المعاصرة إذ يخاطب العالم باللغة التي

يفهمها فأتى ثماره وهدى الله به إلى دينه من شاء لهم الهداية، وقد سُجلت هذه السيدة تاريخيا كأول امرأة مسلمة تخطب وتؤم صلاة الجمعة بالمسلمين منذ إشراق شمس الإسلام إلى اليوم وذلك يوم الجمعة 2005/03/18م في كنيسة القديس جون في ما نهاتن خصوصا وقد أذنت لتلك الصلاة السيدة سهيله العطار وهي سيدة أمريكية مسلمة لا تضع على وجهها حجابا ولا تغطي رأسها بخمار، أما التي أشرفت على تنظيم هذه الصلاة فهي السيدة إسراء نعماني، وقد أُختير التوقيت بعناية كاملة حيث أنه في الشهر الثالث من كل عام هناك يوم اسمه يوم المرأة العالمي أما اليوم الذي أقيمت فيه الصلاة تحديدا فهو يوم المسلم السنوي في أمريكا.

وقامت القيامة وأرغى كثيرون منا كالعادة وأزبدوا معترضين منتقدين أو سابحين مع الموجة في الغالب، كما لم يفوت الفرصة أولئك الذين كلفوا من قبل الله تعالى بتحديد عدد ساكني الجنة حتى لا يكثر عدد أهلها فتضيق عليهم لذا فهم يحرصون على تكفير أكبر عدد ممكن من المسلمين منعا للإحراج في ذلك اليوم العظيم، فكفروا الإمام والمؤذنة والمصلين جملة، بينما فصل بعضهم بين كفر الإمام ومعصية المأموم وصدرت الفتاوى الرافضة متفاوتة ما بين هذين القطبين من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار من هنا وهناك ترد على هذا الأمر الخطير وتحرمه مستدلة بالنصوص الفقهية وأقوال علماء الفقه على مذاهبه الأربعة الباقية والشيعي بمذاهبه الثلاثة المتفق عليها والخارجي برأييه وقد حرموا جميعا إمامة المرأة لصلاة الجمعة باستثناءات فقهية جزئية في هذا المرجع أو ذاك، كما خرجت بعض المظاهرات المنددة في الباكستان وأندونيسيا.

ولكن المشكلة تفاقمت بسبب أن الطرف الفقهي المعارض كان يتكلم اللغة العربية أو الأوردية أو الملاوية أو سواها من لغات الشعوب الإسلامية بثقافاتها الموروثة بينما تحدثت السيدة آمنه ودود بلغة ثقافتها وبسبب الهوة السحيقة بين الاثنين لم يمض أسبوع واحد حتى كررت سيدة مسلمة الأمر نفسه في بوسطن الأمريكية وأمت صلاة الجمعة بالمسلمين.

<u>وتحدثت السيدة آمنه ودود عن الموضوع بإسهاب فقالت:</u>

لا يوجد في القرآن الكريم ولا في صحيح الأحاديث النبوية الشريفة ما يمنع إمامة المرأة لصلاة الجمعة أما الفقه فإنني لا أراه ملزما لي إذ هو أقوال واجتهادات إنسانية لا ترتقي إلى مستوى العصمة والقداسة.ا.هـ.

وهذه الأسطر المختصرة للسيدة آمنه ودود هي بيت القصيد الذي ينبغي أن نركز عليه لنستوعب المسألة جيدا إذ هي تفصل بين نصوص الدين المقدسة المعصومة وفهم

المجتهدين لهذه النصوص.
والحقيقة أن هذا التصادم الفكري الخطير ليس وليد الساعة بل هو نتاج تراكم أحقاب كثيرة من المكبوتات التي وجدت في التطور التقني الحديث بما يسره من وسائل اتصال سريعة متطورة والانفتاح الهائل بين شعوب العالم على بعضها البعض والحريات المتاحة فرصتها للتعبير بلا خوف ولا وجل، وهذا ما يفسر تلك العبارة المرة التي رددتها إحدى السيدات الأمريكيات المسلمات المصليات تلك الجمعة وتناقلتها لا نعرف إن كان على خبث أو سلامة طوية وسائل الإعلام، حيث قالت: الحمد لله أننا في أمريكا بعيدات عن دكتاتورية الأزهر وأياديه فلا يستطيع أن يمنعنا عما نعتقده حقا . ا.هـ.
لقد وصلت الأمور منذ فترة طويلة إلى درجة الاحتقان ثم ابتدأت منذ هذه الحادثة في رد الفعل الطبيعي المساوي في القوة والمعاكس في الاتجاه وهذه هي البداية فقط فإنني أجزم أننا سنرى بأم أعيننا في الأعوام القليلة القادمة لا محالة إسلاما قادما نحونا من قارات العالم الست ودول العلم المائة والستين بوجوه وألسن وقامات وثياب متعددة وسيجبرنا على أن نعيد النظر في مسلمات كثيرة طالما توارثناها من غير ما تدبر وتفكر، كما أنني أجزم بأن الزمن الذي كنا نفصل فيه الإسلام على مقاسنا العربي الفضفاض قد ذهب إلى غير رجعة خصوصا وأننا لم ندعم وجهة نظرنا هذه بأي إنجاز مشرف فكريا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو سياسيا ما خلا المظالم والتخلف فيما بيننا والتفجير وقتل الأبرياء فيما بيننا وبين الآخر.
في العام الماضي 2004 م أفتى علماء دين مسلمين أفارقة لهم ثقلهم الإسلامي بتحريم تناول المصل المضاد لشلل الأطفال لأن ذلك يعد تدخلا في مشيئة الله سبحانه كما أنه يسبب العقم فامتنع الناس هناك عن التطعيم وتفاقم الأمر إلى درجة صارت تنذر بالخطر الشديد وسرت الفتوى بين المسلمين الأفارقة بلا احترام للحدود ومراكز الجمارك والجوازات، وأجهضت برامج منظمة الصحة العالمية لمواجهة شلل الأطفال في أفريقيا التي كانت أعلنت أن القضاء على هذا المرض نهائيا في قارة أفريقيا سيكون بنهاية العام الحالي 2005م حتى اضطرت قمة الإتحاد الأفريقي وهي أعلى مستوى مسؤول في القارة التي عقدت في أبوجا في شهر 2005/01م لمناقشة هذه الفتوى التي امتنعت بموجبها الأسر المسلمة عن تطعيم أولادها، وتدخلت مصر بصفتها إحدى دول الإتحاد الأفريقي وأرسل الأزهر إلى نيجيريا بعثة دينية من 61 عضوا لحل الأزمة، ولكن لم يصغ الأفارقة إلى هذه البعثة رغم كل مظاهر الشرعية الدينية التي أظهرتها ولم يستجيبوا لها ولم يشفع لهم أنهم عرب وأنهم يتكلمون لغة القرآن وقادمون من مؤسسة الأزهر العربي العتيد، حتى أعاد

العلماء الأفارقة أنفسهم النظر في فتواهم فانصاعت لهم الأمهات المسلمات وكشفن أفخاذ أطفالهن لحقنة الطبيب.

إننا بنظرة بيانية منصفة بسيطة نجد أن نسبة العرب لا تتجاوز على مستوى العالم ثلاثة وربع في المائة من سكان العالم أي قرابة 97% من سكان العالم ليسوا عربا ولا يتكلمون العربية، بينما أكثر من سدسهم مسلمون أي أن هناك إنسانا مسلما في كل ستة أشخاص على وجه الكرة الأرضية اليوم، وهؤلاء لهم ثقافتهم وآراؤهم وموروثاتهم التي قد لا نتفق معهم حولها أو عليها، ولكن يجب أن نحترمها ونقدرها ولا ندخل الدين كما نريده لا كما أراده الله تعالى فيها وفيهم إباحة وتحريما لأننا ببساطة لا نتميز عنهم بشيء قط إلا التقوى إن وجدت.

يجب أن نعترف أننا نحن العرب قد صبغنا الإسلام بثقافتنا العربية وموروثاتنا الثقافية وقلنا إنها الإسلام وتقبلها الأبناء منا عن الآباء كحقائق لا تقبل النقاش أو الجدال والواقع أنها ليست كذلك ولا ولن تكون.

فالنحت نفتي بأنه حرام ويحرم على المسلم اقتناء أية قطعة فنية نحتية أو أن يزين بها داره أو مكتبه ويمنع من أن يلقن أسرته من خلالها ثقافة الجمال والإبداع ؛؛؛ والسبب ليس شرعيا إذ في القرآن الكريم أن سيدنا عيسى عليه السلام كان ينحت من الطين كهيأة الطير {**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسرائيل أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** - آل عمران 49} وسيدنا سليمان عليه السلام كانت تصنع له الجن التماثيل {**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** - سبأ 13} ولا أعتقد أننا أقرب منهما إلى الله تعالى وإنما نحن العرب لا يوجد في موروثاتنا الثقافية هذا النوع من الفنون مقارنة بالفراعنة أو الرومان مثلا الذين لا تزال فنونهم النحتية تزين كل بقعة في الأرض مروا عليها ومنها مدننا شحات ولبده وصبراته وسواها.

حتى تلك الأصنام التي كان يعبدها العرب حول الكعبة هي أشكال حجرية ساذجة جدا نحتتها عوامل التعرية في الصحراء باستثناء (هُبل) وهو ليس صناعة عربية إذ أحضره عمرو بن لحي وهو أول من غير دين سيدنا إبراهيم التوحيدي في جزيرة العرب إلى الوثنية من حاضرة الروم في الشام بعد أن رآهم يعبدونه هناك فاستحسن ما هم فيه، وكُسرت يد هبل في الطريق إلى مكة المكرمة فصنعوا له أداة من ذهب مكانها وصار أول إله عربي

مستورد من الخارج، ثم توالى استيراد الآلهة المعبودة من الخارج إلى اليوم في صورة حكام من دم ولحم ولا نزال بحمد الله نصنع لهم أيادي الذهب والماس خوفا وطمعا.
ثم عدلنا هذه الفتوى بفتوى أغرب منها وأعجب وهي أنك تستطيع أن تحتفظ بأية قطعة فنية نحتية في منزلك ولكن بشرط أن تكسر جزءا منها كذيله إن كان قطة أو منقاره إن كان ديكا كي لا تضاهي خلق الله تعالى، وسمينا هذه الفتاوى دينا وطالبنا الآخرين باحترامها في حين لا يعقل أن يحترم ذو عقل هذه العجائب.
والموسيقى حرمناها ليس لسبب شرعي ففي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استمع إلى غناء جاريتين في داره، وإنما لأن الموسيقى المتداخلة المتناغمة ليست في تراثنا كالصينيين أو الهنود الحمر مثلا !!.
وصوت المرأة أفتينا بأنه عورة وأردفنا بفتوى تحرم على المرأة الخروج من دار أبيها إلا إلى مكانين اثنين فقط لا ثالث لهما هما دار زوجها ودار الآخرة في قبرها، وهذا ليس دينا فأمهات المؤمنين كن يتكلمن مع الناس ويخرجن ويزرن من يشأن في حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويرافقنه في غزواته ويشاورهن ويشرن عليه، والسيدة أم سلمة هي التي أشارت على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحلق رأسه الشريف في الحديبية ففعل وكف الله تعالى برأيها الصائب خلافا خطيرا كاد أن يطل برأسه البغيض بين المسلمين، ولكن نفهم السبب إذا ما علمنا أننا كنا نئد المرأة طفلة وهي حية في التراب ذات يوم من الأيام، ويظل وجه الواحد منا إذا ما بشر بالأنثى مسودا وهو كظيم يتوارى من الناس من سوء ما بشر به.
والرسم حرام لا بنص ديني وإنما لسبب بسيط جدا هو أننا لا نعرفه ولم يعثر على رسوم في جزيرة العرب بأيدي عربية قط.
وحيث أننا لم نتوارث لعبة رياضية تستعمل فيها الأقدام طوال تاريخنا على الإطلاق إذ كان أول لقاء لنا بهذه الظاهرة مفجعا عند مقتل سيدنا الحسين عطر الله مضجعه الطاهر حيث تقاذفت رأسه الشريف أقدام قاتليه البغاة المفسدين النجسة فحرمنا كرة القدم تبعا لذلك.
وقلنا بأن من يقول الأرض تدور حول نفسها كافر ومن لم يكفره كافر، وطالت فتوى التحريم الهاتف أول اختراعه بحجة أن الصوت الذي نسمعه منه هو صوت شيطان يسكن في خيوطه، ثم حرمنا بعد ذلك التصوير الفوتوغرافي والانترنت والكمبيوتر والسيارات وحتى الديمقراطية التي هي أبسط حقوق المواطن في دنيا الله الواسعة هي بدعة غربية محرمة عندنا كافرة يجب أن نهجرها متعللين بالدين حاشاه، وإنما هو موروث تلك القرون

الاستبدادية المظلمة التي تلت عصر الخلافة الراشدة عدا بعض الاستثناءات التاريخية النادرة حيث لا معقب لحكم ولي الأمر ولا راد لقضائه بل تسلم له الأعناق والأرزاق ليفعل بها ما يشاء ويرضى عنا نحن الله تعالى تبعا لذلك، لقد فسرنا طاعة ولي الأمر الواردة في القرآن الكريم بالخنوع والذل والخور وحاشا لدين الله أن يأمر عباده بها.

والقائمة طويلة واسعة وإنني أقول وحسبيي الله وحده أن 60% من الحرام الموجود الآن بين أيدي المسلمين العرب بمختلف فرقهم السنة والشيعة والخوارج هو من عند أنفسنا ما أنزل الله تعالى به من سلطان.

وقريبا سنحاور أخا مسلما يرى أن له حقا في الإسلام وتفسير نصوصه وفهم معانيه مثلنا تماما وسنجد أنفسنا وجها لوجه مع الحقيقة التي تجاهلنا وجودها لوقت طويل.

يا أبت افعل ما تؤمر

هي لحظة تاريخية حاسمة يتوقف فيها الزمان عن الدوران وتتجمد فيها مظاهر الطبيعة من شمس وقمر وشجر ومدر خاشعة مترقبة لا تتحرك قيد أنملة لتشارك أبا ينظر بافتخار وإعجاب إلى ذلك المخلوق الجميل الذي يشابهه صورة وطباعا، الذي غذاه بعرقه وسهره رضيعا وحمله بإشفاق ووجل بين يديه صبيا وقبله ملاعبا مداعبا شابا زكيا واحتضنه يافعا راشدا ليقول بكل ثقة واطمئنان: نعم ,, ذلك المخلوق المتفرد البديع الذي ترونه يُكّن لي أسمى مشاعر الحب ويُظهر أكمل حقوق البر والطاعة هو ابني.

ولكن ترى لو قدر لنا أن نجري إحصاء كم من الآباء عاش هذه اللحظة وكم منهم مات أسفا متحسرا دونها، فماذا تكون النتيجة؟

يحدثنا التاريخ عن رجل أشيب الشعر مديد القامة قد بلغ من الكبر عتيا، قدم مع والده آزر وزوجته سارة وابن أخيه لوط من مدينة أور في شرق العراق مرورا بتركيا حيث دفن والده إلى فلسطين وبها أقام إلى أن توفيت بها زوجته.

ثم تزوج هذا الرجل الكريم أيضا من سيدة مصرية اسمها هاجر أقام بها في مكة المكرمة ومنها أنجب ولدا هو جدنا إسماعيل عليه السلام رمز بر الوالدين القرآني إلى أن تفنى الدنيا وما ومن عليها.

إن سيدنا إسماعيل هو أنموذج قرآني مثالي للابن ذكرا كان أو أنثى البار بوالديه ولذا استحق عن جدارة أن يُكرَّم بذكر سيرة بره العطرة في ثنايا القرآن الكريم ليضعها البررة أمام أعينهم قدوة ومنهاجا.

ومن دواعي فخرنا وسرورنا معشر العرب أن يكون جدنا دون باقي أنبياء الله ورسله هو مثال بر الوالدين ولعل هذا الميراث الكبير هو الذي يفسر أصالة هذه الشيمة النبيلة عندنا وعمق أواصرها وتوارثها في مجتمعاتنا أكثر من شعوب الشرق والغرب.

وكان من الطبيعي أن يرسم هذا الأب العظيم طريق التربية المثالية ليسير عليه الناس كافة ليغنموا أبناء إسماعيليين بررة، ولهذا الطريق مراحل ينبغي الوقوف عندها، منها:

- قد تروق الشاب صورة براقة مزخرفة لامعة لفتاة يلتقيها فتسلب لبه وتسحر فؤاده وتتوالى الأحداث ليتزوج بها من غير ما نظر إلى أخلاق كريمة أو أصل طيب أو حسن تربية وطباع فتنجب أولادا قشورا بلا لب على شاكلتها، أما سيدنا إبراهيم فلم يختر أم ولده بهواه وإنما ترك اختياره لله تعالى فأكرمه سبحانه بزوجة طيبة حنون صالحة هي السيدة هاجر، ولذا سن لنا استشارة أهل الصلاح وصلاة الاستخارة في مثل هذه الأمور.

{} تركت السيدة هاجر دين أهلها وطباعهم لدين زوجها وخصاله، وبمعنى آخر نجد أنه قد توفر في البيت عنصر الاتفاق والانسجام منذ البداية وهو الأمر الذي نجد شرعنا الإسلامي يطلق عليه مصطلح الكفاءة ومعناه تقارب المستويات كافة عند الزوجين؛ كالثقافة والمال والبيئة والمحتد وسواها الأمر الذي لا يجعل أحدهما غريبا عن الآخر ويوفر بيئة مثالية ينمو الابن البار بكل راحة واطمئنان فيها.

{} لا ينبغي الاكتفاء بشرب ماء زمزم المبارك دون النظر إلى معنى الأمومة السامية في شرابه السائغ العذب؛ فالرضاعة هبة إلهية كالهواء والماء غير اختيارية ولا كسبية تشترك فيها كل مخلوقات المملكة الحيوانية بما في ذلك حتى الضباع والذئاب، وإنما يميز رضاعة الأم الإنسان الحقيقية تلك الجرعات العاطفية الناعمة من الحنان والحب والتضحية والإيثار التي ترافقها مما يغرس قيما عدة في الطفل ليس البر بأقلها، وهنا نرى كل الصفات واضحة جلية في أم نسيت نفسها وهي تسعى بين الصفا والمروة جيئة وذهابا بحثا عن الماء لابنها العطش فتغدو مسرعة طمعا في الماء ثم يأكلها قلبها على ابنها فتروح إليه والهة مشتاقة، لقد فجر حب الأم الأرض القاحلة الجدباء ماء زمزما زلالا باقيا إلى اليوم وإلى أن يبعث الله تعالى الناس من مراقدهم .

{} كانت مكة المكرمة خالية يومها من الناس فلزم هذا الابن البار بوالديه أن يتعلم منهما ويأخذ عنهما لم يودعاه صبيا لا يفرق بين الجمر والتمر في روضة أو حضانة أو دراسة مبكرة تحرق طفولته وتجعله كهلا قبل أوانه كما نشاهد اليوم للأسف.

إن إدخال الطفل إلى مقاعد الدراسة قبل وقته أو إلحاقه بالحضانة أو الروضة أو أي مؤسسة مماثلة لاغتيال الأطفال هو جناية على الطفل وحرمان له من حق ليس منة أو تفضلا من أحد من الخلق بل وهبه الله تعالى إياه يقضيه في داره في أحضان أبيه وأمه وأخوته وأخواته وأقربائه، ورسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يقول: {علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين - رواه أحمد والترمذي والطبراني} ومعنى ذلك صراحة أن التعليم قبل إتمام السادسة من العمر هو مضيعة للوقت لا فائدة تُرجى منه على الإطلاق، وإلا لعلمناه الصلاة وهي أولى وأهم، أما علميا فإن عين الطفل لا تكتمل إمكانية تركيزها على الحرف أو الرقم قبل إتمام السنة السادسة والعين هي أساس التعليم الطبيعي ناهيك بوظائف باقي الأعضاء.
وكانت قد لجأت دول صناعية عديدة إلى إيجاد مؤسسات اغتيال الأطفال هذه في سنهم المبكرة بسبب ضرورة وجود الوالدين في العمل معا وضعف الروابط الأسرية المساعدة في الغرب من أخوة وأعمام وأجداد وأقرباء عن سد الفراغ، ثم رجع جلها عن هذا التصرف

الخطير بعد أن تجرع عواقبه جنوحا ومخدرات وجرائم قتل وانهيار اجتماعي عام، وسن قوانين تُلزم الوالدين بالبقاء أطول مدة ممكنة مع الطفل حتى سن الدراسة الطبيعية، ومنها مصر التي سنت أخيرا قانونا يرفع سن الالتحاق بالمدرسة إلى السابعة، أما عندنا فللمظاهر والتقليد الأعمى للغير والتخلص من إزعاج الأطفال في المنازل دخل كبير في وجود هذه المأساة.

أقول: ينبغي أن يلتصق الطفل بوالديه في سنواته الست الأولى يحضنانه ويقبلانه ويدللانه ويلاعبانه ويتعلم منهما هو بالنظر والمصاحبة والمحاكاة، كما يجدر بنا أن نعلم أن هذه الفترة هي أساس تكوين الطفل الطبيعي ودور الأسرة فيها أهم وأعم وأفضل بملايين المرات من الروضة والحضانة والمدارس عموما، وإن جرعات الحب والحنان التي يرتوي بها منهما في هذه السن هي أساس النفس المطمئنة الطيبة الخيرة المبدعة في الكبر.

لم يرد في أي نص قرآني أو حديثي شريف أن سيدنا إسماعيل قد اشتغل طفلا أو مارس مهن عصره؛ إذ عمل الطفل هو كارثة أخرى بكل المعايير والمقاييس يئد طفولته في مهدها ويشوه صورتها الجميلة ويخرجها عن طبيعتها البريئة ونتيجته غالبا فشل في الدراسة والتطبع بمقاييس السوق من بيع وشراء في هذه السن المبكرة وتعلم لآفات رهيبة وطوام مهلكة يخلفها المال والفراغ وقلة الخبرة، وإن كنا قد قبلنا على مضض هذه الظاهرة في سنوات خلت كان المجتمع يعاني فيها شظف العيش وصعوبة تحصيل الرغيف، أما اليوم فلا وألف لا لهذه الظاهرة المخزية الآثمة؛ إذ لا توجد أسرة في بلادنا لا تتقاضى مرتبا قل أو كثر أيا كان، وربما لا يفي بكل حاجياتها ولكنه يوفر الحد الضروري من الحاجيات مما يغني عن اغتيال الأطفال بدفعهم إلى سوق العمل.

ولعمري أنحتاج دليلا وها نحن نرى أطفال البراويط وباعة الدخان تتزايد أعدادهم في الأسواق والشوارع ومعهم تتزايد أعداد المتطرفين ومتعاطي المخدرات والخمور واللصوصية وسواها من الدواهي.

{} ومن آداب التربية القويمة التي نبهنا إليها القرآن الكريم أن يوجه بصر الابن إن لم يكن قادرا على الإبصار بنفسه إلى الجهد الذي يبذله والداه فتوضح الأم دور الأب في كده وسعيه لتوفير الأمن والمسكن المناسب للطفل والطعام واللباس والرعاية والاهتمام والحزم، ويوضح الأب دور الأم في الولادة والإرضاع وإعداد الطعام والشراب وتنظيم المنزل وتجميله وغسل الثياب والسهر على راحة أولادها وسعادتهم وحنانها وطيبتها، وذلك هو قوله تعالى: {**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا**

رَبَّيَانِي صَغِيرًا- الإسراء 24}، ففي قوله: {**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**} إشارة ربانية جلية إلى ضرورة أن يعي الابن البار جهد والديه ودورهما في تربيته وتنشئته وأن يتذكر هذا على الدوام ويقابله بما يليق من بر وإحسان .. ولك أن تسأل قائلا لماذا وجهت الآية الكريمة أنظارنا بهذه العبارة؟.

والجواب: لأنه في أحيان كثيرة تغيب هذه الحقيقة عن نظر الأبناء فيظنون أن الوالدين حق طبيعي لهم مستباح وعليهم واجب خدمة الأبناء ورعايتهم بلا كلل ولا نصب فيقعون في بئر العقوق العفنة المظلمة.

{} لقد كان سيدنا إبراهيم أبا ورعا صالحا كريما يضرب القرآن الكريم المثل بكرمه وجوده فكان من الطبيعي جدا أن يكون ابنه إسماعيل صورة منه وهي سعادة كبرى يعيشها الأب، قال صلى الله عليه وآله وسلم: {من سعادة المرء أن يشبهه ولده}، لقد تكامل الابن البار مع أبيه وتوحد وإياه فكانا حريين بأن يرفعا أشرف بيت معا وينطقا بعين لفظ الدعاء معا {**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**- البقرة 127 – 128} وبالمقابل إن كان الأب عاصيا قاطعا للصلاة عزوفا عن الطاعات آكلا للحرام معتديا على عورات الناس بلسانه أو بيده شاربا للخمر أو متعاطيا للمخدرات يمشي بالفتنة والأذى بين الناس، فلمن يكون الابن إلا لأبيه؟.

{} البر كالشجرة يحتاج وقتا لتكامل نموه وإثماره ويجدر بنا ألا نتسرع في تقييم الطفل وجدانيا في وصمه بخزي العقوق من عدمه حتى يكتمل نموه وها نحن نرى أن امتحان البر الكبير لم يوجد إلا بعد أن بلغ الابن مع أبيه السعي أي السن الناضجة التي تؤهله للسعي واتخاذ القرار، لقد أسلم الوالد الكريم ظاهره وباطنه لله فأسلم له الابن {**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**- الصافات 102-103}

ختاما: أوصيك بدعوة جميلة يجدر بنا أن نتبادلها فيما بيننا قائلين لمن نحبه: أقر الله عينك بابنك.

ومعنى قرار العين هو ثباتها واستقرارها وعدم تطلعها إلى ما هو أفضل فكأنك تقول له: أوجد الله لك في ابنك أو ابنتك كل ما تحب من الخصال وأبعده عن كل ما تكره منها فتستقر

عينك عليه غير متطلعة إلى ولد غيرك قائلا ليت هذه الصفة الجميلة التي فيه في ابني، وهو قوله تعالى على لسان امرأة فرعون له وقد احتضنت نبي الله موسى إليها وضمته إلى صدرها {**وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ** - القصص 9}

أقول: أقر الله عيونكم بأبنائكم وكل عام وأنتم بخير .

السياحة الدينية

السياحة في العصر الحديث رافد اقتصادي هام صار يشكل دخلا قوميا هاما ومصدرا رئيسا للعملات الأجنبية ووسيلة ممتازة لتشغيل الأيدي العاملة وتنشيط قطاع الخدمات لدول تحظى بعوامل جذب سياحي كما تحرص دول غيرها على تطوير صناعة السياحة بها لتلحق بمن سبقها.

والسياحة متعددة الأوجه والأنواع فمنها التاريخية والترفيهية والاقتصادية والدينية وغيرها، وباستثناء دول لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة استطاعت أن تطور مراكز الاستقطاب السياحي عندها وتوسعها لتشمل كل أنواع السياحات وليس من بينها – للأسف – دولة عربية واحدة فإن الدول الأخرى يكون عندها بعض هذه الأنواع دون غيرها.

ونحن في الجماهيرية نحظى بحمد الله بنوع من هذه السياحات وبإمكاننا أن نركز عليه دراسة وبحثا ثم تسويقا وهو السياحة الدينية، إذ عندنا كوكبة مباركة من مزارات الصحابة الكرام رضي الله عنهم، هم:

رويفع الأنصاري في البيضاء، أبو سجيف بن قيس في مصراته، عليم بن سلمة الفهمي، زهير بن قيس البلوي في درنه، أبو منصور الفارسي في درنه، عبد الله بن بر في درنه، المنيذر الأفريقي في طرابلس.

كما نحظى أيضا بمزارات سياحية مشهورة لصفوة من الأولياء والصلحاء طالما حرص المسلمون من داخل البلاد وخارجها على زيارتها، منهم على سبيل المثال لا الحصر:

سيدي أحمد زروق في مصراته، سيدي إبراهيم المحجوب في زاوية المحجوب، سيدي عبد السلام الأسمر في زليتن، سيدي حامد الحضيري في سبها، سيدي مقرب السعيدي في القرضبه، سيدي عبد الواحد الدوكالي في مسلاته، سيدي عبد النبي الأصفر في ككله، سيدي عبد السلام الغريب في الجبل الأخضر، وسواهم كثير.

ثم هناك المساجد العتيقة بمبانيها ذات الهندسة الإسلامية المتميزة والقباب المستديرة والردهات المتداخلة والزخارف والخطوط العربية الأنيقة، منها:

مسجد أحمد باشا ومسجد درغوث ريس ومسجد ميزران ببعده العلمي عميق الجذور وهي في طرابلس، ومسجد أحمد زروق في أوجله، ومسجد الناقة في سبها ومثله يحمل نفس الاسم في طرابلس، وغيرها من هذه الثروات الطائلة التي تزخر بها بفضل الله بلادنا.

<u>**أقول:**</u> حبذا لو أولت الهيأة العامة للسياحة والآثار عندنا هذا النوع من السياحات اهتماما

يليق به وأعدت خطة طموحة تبتدئ بصيانة وتطوير هذه المزارات ثم تغطيتها توثيقا بإعداد النشرات والدوريات الحاوية لتراجم هذه الصفوة الدالة على فضلهم المنوهة بقدرهم ثم توزع هذه البيانات على مراكز السياحة العالمية خصوصا الإسلامية والعربية منها ثم يُقرن هذا بتبني هيأة السياحة لبعض الموالد ذات الحضور الجماهيري الكثيف التي تُقام على مدار العام في الجماهيرية وتُعلن عنها وتدعو لها وتعد لها البرامج والخطط المنفذة.
كل هذا نفع محض يعود بمصالح اقتصادية وإعلامية وحضارية وحتى سياسية على بلادنا ويستحق منا أن نبذل الجهد في سبيله ونسهر الليالي لتحقيقه.
وفي مصر على سبيل المثال يحضر مولد سيدي أحمد البدوي مليون زائر في كل عام ولنا تصور الرواج الاقتصادي الهائل الذي تحظى به طنطا جراء هذا حيث بها مزار هذا الولي، كما يحضر مولد موسم سيدي الشيخ محمد بن عيسى في مكناس في المغرب تسعمائة ألف زائر سنويا، والأمر مشابه في جل الدول العربية والإسلامية.
ترى هل آن للهيأة العامة للسياحة والآثار عندنا التي تغط في سبات نومها العميق حتى كدنا ننسى وجودها أن تستفيق للعمل الجدي البعيد عن المجاملات ودهاليز الروتين وسراديب العشوائية والارتجال وتولي السياحة الدينية عنايتها.

في مهب الريح

حبا المنعم المتفضل سبحانه بلاد خلقه وأوطانهم بثروات متعددة متباينة وحضهم الرزاق العليم على استغلالها و الاستفادة منها:

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الأَنهَارَ ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ – إبراهيم}.

والمجتمع الواعي المتحضر هو الذي يعرف مواطن القوة في ثرواته جيداً، و يحسن استثمارها داخلياً وخارجياً بما يعود عليه بالنفع اليوم و غداً.

وهذه الثروات صنفان:

الصنف الأول منها هو ما كان مالاً مباشراً كالنفط والمعادن المختلفة يستخرجها الإنسان من باطن الأرض ويسوقها.

والثاني منها ما كان أموالاً محولة كالأنهار والمحاصيل الزراعية والغابات والصحارى والمناخ والمواني والعائدات التجارية.

وهذان الصنفان يحتاجان جهوداً واعية لتحويلها من أموال ومصالح لينتفع المجتمع بعائداتها بتوفير أساسياته وكمالياته وميزانيات تنميته.

كما أنهما ثروات مؤقتة قابلة للزيادة والنقصان والنضوب والاستغناء، وتتحكم فيها عرضا وطلبا الأسواق العالمية، وتخضع لمنافسات شرسة لا تقوى عليها إلا الدول التي سهرت الليل دراسة و تخطيطاً وأجهدت الأبدان عملاً وبذلا، أما الراقدون في العسل كسلا و تخاذلاً فهم متسولون على أبواب المنظمات الإنسانية العالمية، أذلاء في مطارات الدول، ثقلاء على حكومات العالم، عالة على المؤسسات الدولية.

الثروات الحقيقة غير قابلة للنضوب التي تتزايد على مر الأزمان قيمة وعوائد فهي تلك التي تنفرد بها بعض الدول وتحرم غيرها منها وإن أنفقت الأموال تلالاً وسكبت النقود أنهاراً، وتعطي مالكها قيمة في المجتمعات الدولية ووجوداً حقيقاً على ظهر الكرة الأرضية و تجعله محبوباً مرغوباً يطرق الكل بابه بأدب و خجل ليتفضل مشكوراً بنفع غيره بها، فهي معالم البلاد التاريخية والثقافية والحضارية والإنسانية.

وقد تفضل الله سبحانه وتعالى وله الشكر والمنة على ليبيا بثروات من هذه المعالم كبيرة

كثيرة متنوعة منثورة في كل البلاد من أقصى غربها إلي أقصى شرقها ومن أقصى شمالها إلي أقصى جنوبها.
فمنذ الفتح الإسلامي المجيد لليبيا في عام 21 هــ والمآثر تترى والمعالم تتكدس من مساجد إلي زوايا إلي أضرحة أولياء صالحين مبرزين وعلماء مصلحين إلي مدارس عريقة تدق أوتادها مؤكدة بقوة أصالة الحضارة في هذا البلد المعطاء.
ولم تسنح لنا الفرصة قط لالتقاط الأنفاس والاهتمام بهذه المعالم الهامة وتوثيقها والتعريف بها داخليا وخارجيا واستثمارها بما يعود على المواطن بالنفع بتقديم تاريخ بلادنا الأصيل الناصع له، يفتخر به ويشيد بفضله وينشئ أولاده عليه، وعلى سمعة البلاد في المحافل الثقافية العالمية ويستدعي المهتمين والمثقفين فضلاً عن السياح للتعرف إليه عن قرب بما يعنيه ذلك من مصالح جمة تخرج عن الحصر؛ إذ لم تكن تخرج البلاد من احتلال إلا لتقع في آخر، ولا ترفع رأسها من كارثة إلا لتبتلى بأكبر منها؛ من الحروب الأهلية المدمرة والفتن والاضطرابات الداخلية التي أعقبت دولة الأغالبة إلي الاستعمار النورماندي إلي الاستعمار الإسباني إلي فرسان القديس يوحنا إلي جور بعض ولاة الأتراك إلي استبداد القره مانليين وبطشهم إلي الاحتلال الإيطالي المقيت.

<u>كان هذا فيما ما مضى، أما الآن فلا عذر لنا.</u>

الهيأة العامة للأوقاف بفروعها في الجماهيرية التي تفوق الأربعين فرعا وجيوش موظفيها الجرارة المنتشرة في كل مدينة وقرية وواحة هي الجهة المسئولة مباشرة عن إنجاز هذه المهمة الخالدة، وعلى عاتقها تقع مسؤولية ضخمة ينبغي أن تضطلع بها وتبذل في سبيلها الغالي والرخيص؛ فتضع الخطط لإنجاز هذا العمل وتوفر آلياته من غرفة قيادة بها خبراء حقيقيون وأجهزة حاسوب ومنظومات رقمية ولوازم تسيير الإدارة الحديثة، وأساليب تنفيذ واستثمار.
وستمر رحلة العمل المباركة هذه بمحطات هامة لابد لها من التوقف فيها؛ أولها إجراء مسح أستبياني علمي شامل للمساجد والزوايا القديمة والحديثة، يشمل تاريخ التأسيس والمؤسس ونوع الهندسة المعمارية وما شارك فيه من أحداث وأهم أعلامه.
وآخر لمقامات الأولياء والعلماء يحوي تراجمهم وتاريخ الوفاة والآثار والمشاركات العلمية.
ومسح آخر للمدارس الإسلامية القديمة وتاريخ تأسيسها وأهم أساتذتها وطلابها ومناهجها والكتب المنفذة.

يجمع كل هذا في كتب تطبع وفي أسطوانات CDs حاسوبية تباع في الأسواق وتصمم له مواقع على شبكة الإنترنت لكل من أراد معلومة من داخل البلاد أو خارجها فيجدها بكل سهولة و يسر.

كم هو مخجل أن يوجد في بلادنا جامع الشيخ عبد الوهاب القيسي في طرابلس الذي يبلغ من العمر قرابة 800 عام وجامع الشيخ أحمد زروق في أوجلة الذي يتجاوز عمره 500 عام و المسجد العتيق بسبها الذي تجاوز هو الآخر الـ 500 عام وجامع عصمان في بنغازي الذي تجاوز الـ 300 عام ومسجد أحمد باشا في طرابلس الذي يعد تحفة معمارية فريدة، وغيرها وغيرها ولا يكاد أبناؤنا يعرفون عنها شيئاً !!

زاوية الأبشات في الزاوية الغربية رحم العلماء والصالحين المنجبة، وزاوية البيضاء في الجبل الأخضر كما كانت بها أكبر مكتبة أبان العهد العثماني الثاني والعهد الإيطالي ما بين تاورغا والإسكندرية.

وزاوية السعدية في المرج التي طالما غصت بالعلماء والأدباء تأتيها من مكة المكرمة إلي طنجة في المغرب، وترددت في جنباتها المساجلات الأدبية والمناظرات العلمية وأشعار شيخ الشعراء أحمد الشارف الذي يقضي في ربوعها الأسابيع والشهور، وزاوية مرزق بأثرها العلمي الذي بلغ مالي والنيجر ونيجيريا وتشاد والسودان فضلاً عن ليبيا، يكاد كل تاريخها يُنسى وتطويه كهوف النسيان واللامبالاة.

مدرسة الرخام في طرابلس التي أسسها الشيخ الصوفي الطرابلسي عبد الحميد ابن أبي الدنيا (ت 684 هـ) التي يقول عنها المستشرق روبار برنشفيك: إنها أقدم مدرسة مالكية في شمال أفريقيا، ومدرسة الشيخ عبد الله الناعمي التي أسسها في سبها في القرن التاسع الهجري لا يكاد يعرفها أحد، ونستكثر على أنفسنا إحياءها من جديد فضلاً عن توثيقها.

سيدي بوصلاح في العوينات في أقصى الجنوب الليبي سبق الرئيس أبراهام لنكولن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في حظر تجارة الرقيق، واستمر قبره بعد وفاته رمزاً لهذه المكرمة إذ يلجأ إليه طلاب الحرية من الرقيق المجلوب من أواسط أفريقيا ليباع في موانئ طرابلس وطلميثة فيهاب النخاسون حرمه لما علموا من بركته، وينعم اللائذ به بالحرية مجدداً.

سيدي أحمد المارغني الذي لا يُحصي إلا الله تعالى من أنقذت رقابهم من سيوف جلادي القره مانليين إذ لا يصل ضريحه أحد إلا ونال العفو كائنة ما كانت شراسة جلاديه وجبروتهم.

أبو الحسن ابن المنمر بتاريخه الحافل بمقاومة الدولة العُبيدية الجائرة مهمل في حجرة صغيرة في ضواحي غنيمة قرب الخمس.
جهابذة علماء المرج الشيخان أبو نزار وأبو عبد الله، ما من كتاب أرخ لرجال القرن الرابع الهجري في الشمال الأفريقي إلا ومر بذكراهما ولو عرضاً، كلها معالم نفيسة أضحت في مهب الريح !!!
لن يغفر لنا أبناؤنا وأحفادنا أبداً أبدا أننا ضيعنا تاريخ بلادهم فما وثقنا معلماً ولا حفظنا مأثرة و لا أرخنا لعلم.
أيعقل أن تُشيد المساجد الكبيرة في دول العالم حتى غير المسلمة منها على أضرحة التابعين والصلحاء وتصدر الكتب والنشرات للتعريف بهم وتزورهم الناس تدعوا الله عند أضرحتهم وتتقرب إلي الله تعالي بأوليائه، ونحن في أكبر مدننا طرابلس يقبع صحابي جليل هو سيدي منيذر الأفريقي في حجرة صغيرة مهملة عابسة جدرانها مليئة بذكريات الشباب ونزواتهم، وأحرف انجليزية وعربية من كل جهة، ورغم كل هذا فإننا نحمد الله، فما يعانيه من عقوق وإهمال وعدم احترام لصحبته لخير الخلق صلى الله عليه وآله وسلم ومكانته المقدسة الهامة يبقى أفضل بكثير مما يعانيه أخوه الصحابي سيدي أبو سجيف الأنصاري دفين قصر حمد في مصراته، حيث ينزوي في حجرة بالية متهالكة تحت أسر إدارة ميناء مصراته البحري التي ضمته إلي أملاكها و فصلته عن الزائرين ثم عادت وسمحت له بطريق متواضع.
أما حالة هذا المعلم الهام فلو علم بها الحافظ العسقلاني صاحب كتاب {الإصابة في تمييز الصحابة} لرفع علينا قضية في محكمة الجنايات الدولية.
أنعجز أن نبني عليهما مساجد تليق بمكانتهما و تزيد في حضورنا الإسلامي بين أشقائنا المسلمين و تؤكد تراثنا و عمقه.
الحقيقة أن هذه هي ليست المرة الأولى التي أثير فيها موضوع توثيق معالم ليبيا الإسلامية، وقد تحدثت مع الأخوة في الهيأة العامة للأوقاف شفاها مراراً و تكراراً عن هذا الأمر، وحذرت عدة مرات من قرب خلو الساحة من المختصين في تاريخ معالم بلادنا الإسلامية وجزئيات أحداثها التاريخية وتفاصيلها، وها هو ما أخشاه يحل بنا يوماً بعد آخر؛ إذ توفي صديقنا الكريم الشيخ محمد اصباكة في العام الماضي وهو مرجع هام جداً لتاريخ طرابلس على وجه التحديد يعرف مساجدها وزواياها ورجالها ومؤلفاتها وآثارها الإسلامية.
أما صديقنا الفاضل الشيخ أبوبكر القاضي – أمد الله في عمره - صاحب التأليف العديدة عن فزان العارف بتاريخ فزان ومعالمها و تراجم رجالها فهو يعاني الآن مضاعفات جلطة

ألمت به أعجزته عن تحقيق آمال كبيرة طالما راودتنا.

لا يهمني ما قد يقوله متسرع أو منتقد لا يفقه ما نحن بصدده، و لكنني أعلن بصراحة وأتحمل تماماً مسئولية كل كلمة أقولها: أنه لم يبق ممن أئتمنه على تاريخ معالمنا الإسلامية في ليبيا سوى رجلان اثنان.

أقول هذا وأنا قد جلت الجماهيرية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وجالست جل رجالها وعلمائها، مع احترامي الشديد لمن يخلط الغث بالسمين و يرى أن العارفين بهذه الأمور آلافا.

ولتتحمل الهيأة العامة للأوقاف مسئولية تأخير إنجاز هذا العمل الخالد توثيق المعالم الإسلامية إلي حين وفاتهما هما أيضاً.

أرجو ألا يستغرب أحد ما أقول فكم يوجد في المسلمين الذين يبلغ عددهم اليوم أكثر من مليار نسمة من المؤرخ أبن خلدون؟

أو المحدث البخاري أو الفقيه الإمام مالك أبن أنس، أو الطبيب أبن سينا أو اللغوي ابن جني أو الشاعر أبو الطيب المتنبي، وليتنا نستطيع أن نصنع منهم الآلاف؟.

ولكن الأمر ليس بيدنا بل هي مواهب من الله سبحانه وعطاياه، وعلينا أن نحترمها بلا مكابرة أو عناد .

العلامة الشيخ الطاهر الزاوي له من المؤلفات التاريخية واللغوية والإسلامية ما لا يجهله أحد، وعندما ألف كتابه الأعلام الذي حوى تراجم 473 شخصية ليبية علماء ومثقفين وغيرهم توقف عند رجل اسمه العيساوي بو خنجر، قال عنه:

يعرف القبائل واحدة واحدة، ويعرف من تنتمي إليه ومن تستنجد به في حروبها، ويعرف مواطنها ومرابعها، وأين تنتجع وأين تجتمع ويعرف وقائعها وأسبابها، ولمن كان الفوز وعلى من وقعت الهزيمة، ويعرف الشجعان الذين قادوا قبائلهم إلي مواطن النصر ويروي ما قاله لك الفائز في المعركة من أشعار يفتخر بها على المغلوب، وما قاله المغلوب معبراً عن آماله في إدراك ثاراته.

يروي ذلك كله في سلسلة تكاد لا تجد فيها نقص تكمله ..... إلي أن يقول: يحفظ من الأمثال الطرابلسية الشيء الكثير، و كثيراً ما يروي مضرب المثل و يذكر قائله هذا قليل من كثير استوعبته هذه الذاكرة الجبارة، و حفظت لليبيا أكثر مما حفظ في بطون الكتب ... انتهي ما كتبه العلامة الطاهر الزاوي.

و أقول: الحمد لله الذي جمع العلامة الطاهر الزاوي به فحفظ الكثير من علومه و قيدها

عنه بمنتهى الأمانة العظيمة خصوصاً في كتابيه الأعلام و معجم البلدان الليبية.
سقت هذا الرجل الكريم السيد العيساوي بوخنجر للقاري الكريم كشاهد ليعلم ما أعنيه بما قلته آنفاً في حصر من يؤتمن على تاريخ معالمنا الإسلامية اليوم في رجلين اثنين فقط.
إن فوائد توثيق معالم بلادنا الإسلامية وأوليائها الصالحين وعلمائها تتعدى الجانب الديني والاجتماعي والاقتصادي إلي آفاق أرحب وأوسع قد لا تخطر على بال، فعندما اندحرت إسرائيل اقمأها الله عن جنوب لبنان البطل بفضل جهود اللبنانيين الشرفاء الأبطال تشبثت بقطعة أرض لا تتجاوز كيلوا متر واحد قائلة: إن هذه الأرض لا تتبع دولة لبنان، بل تتبع قضاء فلسطين الواقع تحت احتلالها، و أخرجت خرائط عثمانية لتقيم بها حجتها الداحضة!!!

<u>أتعرفون كيف تطهر هذا الكيلو متر من أدناس الإسرائيليين ونجسهم</u>، لقد حرره قبر الشيخ عياد، إذ سكتت المدافع وخرست الدبابات ودخل أرض المعركة سلاح جديد أكثر فاعلية منها وأبعد مدى وأقوى أثرا، إنه كتب التاريخ والتراجم التي اثبتت أن الشيخ عياد هو مواطن لبناني عاش في لبنان، وله فيها تلاميذه ومريدوه وحلق دراسته وسبل حياته، فما كان من الغاشم الفاجر إلا أن لملم مخلفاته وغادر في هدوء ليشرق على قبر الشيخ عياد صباح جديد لا ترفرف عليه راية إسرائيل المكسورة إن شاء الله.
في حين خلت مزارع شبعا من هذه المزية ومازالت تتنازعها أيدي المفسدين في الأرض قتله الأنبياء والرسل.

كنت طالباً في اكسفورد في بريطانيا تستغرق الحصص الدراسية يومي كله من الصباح حتى الساعة الرابعة مساءً، و باقي النهار حبيس الحجرة، أيام الشتاء هناك طويلة قارصة البرد والضباب يلفها، ووقت صلاة المغرب عند الساعة الرابعة والنصف ليبتدئ بعدها ليل يكسوه الثلج المتهاطل تغوص فيه الأقدام، وجاء الربيع وأشرقت الشمس، والجملة الإنجليزية التقليدية التي يُفتتح بها الكلام عادة في كل الأحوال هي (Nice weather) أي طقس جميل ثم ينساب الحديث.
والإنجليز يشتهرون في كل أوروبا بالبخل، حتى أن الطرفة الكلاسيكية المروية عنهم تقول: أن أحدهم أراد أن ينتحر هو وخادمه فطلب من خادمه ان يلصق رأسه به لتقتلهما طلقة واحدة ولا يبذران طلقة لكل رأس.
فلك أن تتصور المفاجأة الكبرى التي عشناها عندما جمعنا مدير المؤسسة التعليمية أنا وبعض الطلاب غير الإنجليز من عرب وإيرانيين وآسيويين و سواهم ليعلن لنا أنه تقرر أن

نخرج يوم السبت القادم في رحلة إلي ستراتفورد من الصباح إلي المغرب على حسابهم بما في ذلك الطعام والمواصلات، وبالطبع رحبنا بذلك وإن بلغ بي العجب منتهاه.

وفي الموعد المقرر كنت جاهزا بلوازم الرحلة وخرجت بنا الحافلة إلى ستراتفورد التي لم تكن تبعد كثيرا لنقف أمام منزل متوسط الحجم على الطابع الانجليزي الهرمي المعتاد، وقالوا لنا: هذا هو المنزل الذي كان يسكنه الأديب الانجليزي الكبير (وليم شكسبير) ودخلت بنا امرأة كبيرة السن وقور هي الدليل السياحي للمنزل إلى الداخل، فهنا كان شكسبير ينام وعلى هذه المنضدة بالذات كان يكتب أعماله الخالدة وعلى هذا الحوض تحديدا كان يغسل وجهه وهذه الصورة المعلقة علاقتها به كذا وكذا.

وقضينا كل اليوم في ضيافة وليم شكسبير طيب الذكر حتى الدكاكين المقامة بالجوار تبيع صورا ومناظر وتحفا لها علاقة به.

ولعل القارئ الكريم يستغرب رغم كل هذا إذ أقول له إن الكاتب الانجليزي الكبير والأديب الشهير (وليم شكسبير) شخصية تنتاب الشكوك وجودها الحقيقي من كل جانب حتى من قبل المؤرخين الانجليز أنفسهم وجل مسرحياته ورواياته كانت موجودة قبل الفترة التي يذكرون أنه عاش فيها بكثير.

بعضهم يقول: لا وجود لهذه الشخصية أصلا وإنما هو اسم مختلق، وبعضهم يقول: إنها شخصية حقيقية كانت موجودة فعلا نُسبت لها هذه الأعمال ... والآراء في الموضوع متعددة أقرب ما تكون إلى شخصية جحا في التراث العربي.

ورغم هذه الشكوك والظنون تدرج المؤسسات العلمية الانجليزية في برامجها التعليمية زيارة هذه المعالم وتُنفق على هذه الزيارات على أصالتها في البخل..... ترى لماذا؟

لماذا يفعلون ذلك؟

لن أجيب على هذا السؤال وأترك لحضرتك هذه المهمة.

كلنا رجال ونساء صغار وكبار عشنا أحداث احتلال العراق الأليمة وتقطعت أكبادنا أشلاء مع حزن كل أخت عراقية تتوجع وعويل كل طفل عراقي يتألم وغضب كل رجل عراقي يُقاسي.

وتكسرت قلوبنا مع كل منزل أسرة آمنة يقع عليه صاروخ فيحيله ترابا، انقطعت الكهرباء عن بغداد فأظلمت الدنيا علينا وتوقفت المياه فعطشنا أكثر منهم.

لقد كنا بأجسادنا في ليبيا أما قلوبنا فكانت هناك عند أشقائنا في بغداد والبصرة والنجف الأشرف وأم قصر والزبير وكربلاء والموصل.

وانجلى غبار المعركة وشاهدنا على الفضائيات أهلنا هناك بكل إباء وشمم يدفنون موتاهم ويضمدون جراحهم ويزيلون الأنقاض لم ينهاروا أو ينكسروا حتى إذا دخلوا متحف بغداد فوجدوه أثرا بعد عين التحف نُهبت والآثار سُرقت والمحتويات كُسرت هناك فقط شاهدنا الرجال تبكي والعبرة تخنقها.

لم يبك هؤلاء الأشاوس على آبار النفط التي احترقت ولا على الدور التي هُدمت ولا على المنشآت التي تهاوت فكل هذا سيبنيه المال وسواعد الرجال من جديد بإذن الله.

ولكن هل تستطيع أموال الدنيا إعادة رسالة بخط سيدنا على كرم الله وجهه اختفت من المتحف مكانها.

دموع الرجال الأصلاء على ضياع متحف بغداد والحزن يجتاحهم هو تماما ما أعنيه إذ أتكلم عن وجوب اهتمامنا بالمعالم الإسلامية في بلادنا وتوثيقها والانتفاع بمعانيها ومادتها.

شخصيات من القرآن الكريم

يعيد التاريخ نفسه دائما لأن الإنسان هو الإنسان كل الفرق أنه يسكن مرة في كهف ومرة في فندق 5 نجوم ويلبس تارة جلد عجل يابس وتارة بدلة ايطالية الصنع ثمنها 10 آلاف دولار وركب يوما بغلة عالية قوية مهجنة والآن مرسيدس الشبح ولكنه هو هو بشحمه ولحمه منه الخيرون ومنه الأشرار وفيه البناة وفيه الهدامون والمصلحون والمفسدون، لذا فحقيقة وجودنا عبارة عن عجلة تدور أبدا ولا تتوقف ومواقف تتكرر دائما ولا تتغير.
لكل ذلك ما كانت شخصيات القصص القراني أبطال روايات أدبية ممتعة أو أحداث تاريخية مضت وانقضتز
إنها دلائل خالدة ترشدنا ودروس وعبر يستفيد منها الإنسان لحياته اليوم وغدا.

بلعام بن باعوراء:

أوتى نعمة كبيرة من الله تعالى وفضلا بل أنه حظي دون كثير من معاصريه بحب وثقة رسول الله سيدنا موسى عليه السلام الذي جعله من خاصته وذوى ثقته ومحبته وحباه بأسرار ومزايا مما تزخر به قلوب أهل الله تعالى وعلى رأسهم الرسل الكرام وعلمه اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى، وكان سيدنا موسى يحارب القوم الجبارين وقتها والحروب تكون تارة بالسلاح والعتاد في ميدان الوغى وساحات القتال وتارة بالمحادثات والأساليب الدبلوماسية والاتفاقيات السياسية وتحتاج الحرب أهل ثقة يطمئن اليهم القائد في حربه ويشاطرونه أحمال تبعاتها وأوجبت ظروف تلك الحرب الضروس رسالة يبعثها سيدنا موسى إلى الجبارين أعداء الله تعالى، ولحاجته للثقة الذي ينقل عنه فلا يبدل ولا يحرف فيها حرفا واحدا ووقع الاختيار على بلعام بن باعوراء ولكنه خان الثقة الغالية وباع الأمانة بخسا وانضم للقوم الجبارين وكانت طعنة غادرة مريرة على سيدنا موسى فالقاصي والداني يعرف حب سيدنا موسى له كما أنه يعلم لمنزلته المقربة الكثير من أسرار سيدنا موسى وخفايا أمره.
وخاب سعى ابن باعوراء وانكسر لجبارون وتحول بلعام إلى أنموذج مقيت لكل من أكرمه الله بثقة كبيرة فخانها وحب كبير فداس عليه واطمئنان أصيل فغدر به.
{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ *وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ - الأعراف 175 - 176}

آسيا بنت مزاحم :

الذي يعتقد أن المواقف النبيلة المشرفة هي حكر على الرجال وحدهم دون النساء هو مخطئ بنسبة 100% لا يعرف عن الناس والدنيا وتقلباتها شيئا ففي أحيان كثيرة تكون مواقف النساء أشرف وأنبل من مواقف رجال كنت تسوق لهم المعروف والخير أطنانا فما ردوه لك إلا نكرانا وجحودا، حيا الله طائفة منهن أسماؤهن وثقت في دواوين أهل الوفاء الخالدة خلود التاريخ لا يملن بعقائدهن ومواقفهن مع رياح السوء حيث مالت شعارهن الخير وسبيلهن الحق ومنزلتهن عند أهل المروءة تبقى سامية عالية فلهن كل التقدير والاحترام.

إنهن يُذكرنني بسيدة عاشت في دولة قوية شديدة الشكيمة وافرة الجند غنية بالموارد خصبة تفيض بالعلوم ويدرس شبابها في الجامعات سبقت العالم كله حضارة وأصالة بل وانفردت بعلوم لم يستطع مجاراتها فيها أحد حتى اليوم كالطب والفلك والتحنيط يتزعمها رجل من زعماء العالم المعدودين قوة ومنعة وسلطانا حقيقيا اسمه مبتاح وإن كان عُرف ككل أسلافه وأخلافه باسم الفرعون، أما هي فقد كانت زوجته ولكنها لم تكن على شاكلته إذ هي عظيمة من عظيمات النساء قاطبة انحنى لها التاريخ إجلالا واحتراما ونطقت بالثناء عليها كتب الله تعالى المنزلة من عليين اسمها آسيا بنت مزاحم.

وذات يوم وهي وزوجها في بستانهما على ضفاف نهر النيل والخدم والحشم يحيطونهما من كل جانب قذفت رياح الأقدار بصندوق صغير به مولود مبارك كله خير وعطاء انفتح قلبها الخيِّر لوجهه الذي كان يتلألأ بأنوار النبوة كالقمر من أول نظرة ولكن صدر أمر فرعون الظالم بقتله تنفيذا لخطته الدموية بالإبقاء فقط على قومه المعلومين المعدودين كثرة وصونا وإضعاف وإهلاك من سواهم بقتل صغارهم وليس هذا الطفل المجهول استثناء، ولكنها وقد سبقت لها الحسنى والعناية الإلهية شفعت للطفل وأقنعت زوجها الجبار بالإبقاء عليه واتخاذه ولدا وفعلا عاش موسى وترعرع في بيت فرعون وأمه السيدة (ياوخ) ترضعه تحت نظرهم بعد أن حرم الله تعالى عليه المراضع سواها حتى إذا ما جاء أوان الدعوة دعوة التوحيد المقدسة لن يجد فرعون طعنه أو تقوله في موسى نفعا وهو الذي عاش معه تحت سقف واحد.

أحبته وربته صغيرا ثم آمنت به وبرسالته كبيرا بل لم يؤمن به من آل فرعون إلا هي وشمعان الكاتم لإيمانه الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وبقيت على ذلك ثابتة كالجبل راسية كالشمم لا يغيرها سلطان فرعون وحيله وفتنته ومكره وتزويقه للباطل ولا كيد أعوانه الظالمين بل أنكرت عليه وعليهم أفعالهم واستخفت بملك فرعون وماله وعرشه

معتزة بعقيدتها حتى لقت ربها فضرب الله بها المثل أروع المثل لتبقى سراجا منيرا يضئ طريق عظيمات النساء وفاء وتمسكا بالحق ضد الباطل.
{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ - التحريم 11} .

<u>السامرى :</u>

ذهب موسى لمناجاة ربه واستخلف على بنى إسرائيل شقيقه الأكبر هارون بن عمران بن قاهث الذي وقف وسط بني إسرائيل يعظهم وينصحهم ويأمرهم بحفر حفرة يلقون فيها ما كان بأيديهم من حُليٍ عندهم لقوم فرعون الذين أغرقهم الله تعالى أمام أعينهم منذ برهة قريبة.
ولكن السامري الذي كان مقربا من هارون يتعلم منه ويحظى بدعائه له وينعم بحظوته عنده إلى أن وصل درجة أنه أبصر بما لم يبصر به الآخرون قبض قبضة من أثر الرسول وأخفاها حتى إذا ما ألقى القوم قطع الحُلي صهرها فجاءت على هيأة عجل ثم ألقى في وسطه ما كان قد قبضه من أثر الرسول فصار العجل يصدر - ويا للعجب - أصوات خوار كخوار العجل وأيقظ الفتنة بين الناس بذلك فتفرقوا فرقا منهم من هو على الحق المحض لا يتزعزع ولا يتغير فلله دره، ومنهم من يضع رجلا في الحق وأخرى في الباطل، ومنهم المتأرجح الذي توقف أو اختبأ ينتظر النتيجة النهائية، ومنهم من أشرب في قلبه العجل أي فتن بفتنة السامرى وضل وراءه خصوصا وقد غذى السامرى فتنته بأباطيل وترهات يرددها عن سيدنا موسى فيتساءل أمامهم بوجه البريء وكلام المشفق الناصح وربما ملأ بالدموع مقلتيه شأن كل أمثاله من أهل الفتن، قائلا:
ألم يعدنا موسى ثلاثين يوما؟ فما باله أخلفنا وهاهي أربعون يوما تمر ولم يأت؟ ثم يقول بطريقة خبيثة تجمع بين التكذيب والاستهزاء وإظهار الصدق والنصح: أترونه يا قوم أخطأ ربه فهو يطلبه ويبتغيه؟
ومن هم الناس المفتونون؟
إنهم أولئك الذين رأوا المعجزات الكبرى بأعينهم رأوا عصا موسى حية تسعى تلقف ما صنع السحرة، ويده تخرج بيضاء من غير سوء، والبحر ينفلق نصفين كل فرق كالجبل الكبير، والأرض المغمورة طوال عمرها بالمياه وقد يبست تحت أقدامهم ليعبروا عليها،،
أبعد كل هذا الحق ضلال؟

إنه الضعف المركب في القلوب فاستحكمت الفتنة، والسامرى يؤجج نارها ويوقد سعارها ويقول لهم هذا العجل هو إلهكم وإله موسى أمَّا إن حاول أحد الاعتراض أو الرد فسيوقفه السامرى بكلمة (لا مساس) التي عليها أقام بنيان فتنته، أي لا رد ولا اعتراض على ما يقوله لهم إنهم كالدواب لا رأي لهم ولا نظر ولا فهم هو من يدخلهم متى وحيث أراد ويخرجهم متى وحيث أراد عليهم فقط السمع والطاعة مرددا عليهم قوله:
اننى أعرف وأعلم ورأيت ودرست وأنا كما تعلمون المقرب من رسول الله هارون، وما إليها من ترهات يتلقاها الضعفاء السذج عنه بلا نكير أو استفسار.
ولكن دولة الباطل ساعة ودولة الحق ألف ساعة سرعان ما تجلت الأمور وأعيد الحق إلى نصابه فقد أحرق عجل السامرى ثم نسف في البحر نفسا وبذا انتهت فتنته ولم يجد ما يعتذر به عن باطله إلا قوله: وكذلك سولت لي نفسي.
ولكنه أيضا أبتلى بأن بقى يردد كلمة لا مساس التي أقام بها وعليها فتنته وبها غرر بالبسطاء والسذج وإن لم يعد أحد يسمع منه أو يعيره التفاتا لأن الفتنة لمعانها مخادع زائف سرعان ما يفقد بريقه وأضواءه وإن كانت بقوة ومستوى عجل ناطق مصنوع من معدن مصهور أما الحق فإنه يزداد مع الأيام نصاعة ووضوحا لأنه الحق.

<u>آصف بن برخيا:</u>

سيدنا سليمان بن داود بن إيشا بن عويد نبي ابن نبي من سلالة كريمة كلها تزدان بأنبياء الله الكرام ورسله يجلس في حاضرته وسط الجن الذين يصنعون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان وقدور وقصع وكل ما يخطر بالبال والإنس حوله والطير تظله بأجنحتها والحيوان يتعبد ربه حتى الجبال مأمورة بأن تؤوب معه أي تردد ما يذكر به سليمان ويمجد مولاه تعالى.
ولكن ثمة غياب ملحوظ لأحد أفراد الرعية ،، أحد أقطاب المجلس غائب ولا يُسمح بمثل هذه التجاوزات في المجلس النبوي الكريم إنه الهدهد أو (البوعبعاب) كما نسميه في شرق ليبيا ذلك الطائر الجميل المزركش بتاجه البهي على رأسه، كان في سياحة فأحاط بما لم يحط به نبي الله سليمان إذ وجد قوما على قدر من العلم والثقافة والقوة ولكنهم وثنيون يسجدون للشمس من دون الله إنهم كفار وواجب هدايتهم أمر يقع على سليمان المناط به دعوة التوحيد في وقته أما ملكتهم فهي امرأة جميلة ذكية حكيمة قوية تحسن القيادة وتجيد تصريف الملك اسمها بلقيس بنت البشرخ وتملأ بحكمتها وحنكتها كرسي عرش مملكتها الذي كان مزخرفا بأنواع الجواهر واللآلي والذهب والحلي الباهر.

واستشاط سليمان غضبا على الهدهد الغائب بلا إذن مسبق مهددا بالذبح أو العذاب وقدم الهدهد وأخبر بسبب غيابه وتصعد الأمر وجرت المراسلات بين النبي والملكة وحمل الهدهد المخلص البريد بكفاءة واقتدار وخُتم الأمر بأن صدر أمر سليمان السامي لكبار مجلسه بالطلب أن يحضروا له عرش بلقيس قبل أن تصل قادمة إلى القدس حيث سليمان لإبرام الهدنة ليكون ذلك أبلغ لها ولتعلم وتتيقن أنه نبي مرسل وليس طالب سلطان أو مال أو عرض زائف من أعراض الدنيا الفانية، **{قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ** - النمل 39}، ولم ترض هذه السرعة الخارقة النبي لأن من خواص الجان السرعة في إحضار الأشياء من حيثما أرادوا بل أنهم يسترقون السمع من السماء أتراه يصعب علي أحد ملوكهم إحضار عرش من اليمن إلى القدس قبل أن ينقضي الوقت المحدد للمجلس وينفض بقيام سليمان منه وهنا نطق ولى الله تعالى، **{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** - النمل 40} أي قبل أن ترمش جفنيك .

وجاء العرش في لحظ البصر من بلاد اليمن إلى القدس.

والدروس والعبر المستفادة كثيرة وغزيرة، إنها رسائل بليغة موجهة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، منها.

1. أن آصف وازن الكفة وعدل الميزان ميزان الوفاء والإخلاص التي أمالها بلعام والسامرى، صحيح هي نتيجة اثنين لواحد ولكن من قال أن التركيز على الكم مخطئ مخالف للمنهج القرآني بالتمام والكمال الذي مدح القلة دائما لا الكثرة وركز دائما على الكيف دون أي نظر للكم **{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** - الرعد}
2. ليس كل ثقة جحود خؤون كالسامرى وبلعام فهاهو آصف رغم كل ما حباه الله به جالس صامت بكل أدب وحياء في مجلس الحق لا يظهر لنفسه مزية على غيره ولا يتكبر ولا يدعي، حتى إذا ما طلب منه رسوله أن يفعل أمرا لبى الطلب بكل أدب وتواضع ثم عاد إلى مجلسه أكثر أدبا وتواضعا غير طالب لمكانة ولا مزية عن إخوانه المؤمنين.
3. جواز أن تسأل العبد المعتقد صلاحه وقربه إلى الله تعالى ما فيه منفعتك من جلب خير أو صرف شر وهاهو نبي الله يسأل الجن والإنس في ذلك أترانا نعرف الحق أكثر منه؟،،،

لماذا؟ لأن ولى الله حقيقة هو وغيره أضعف وأقل من أن يملك لنفسه أو لغيره نفعا ولا

ضرا ولكنه إذا رفع كفيه ودعا الله لك استجاب مولاه له لقربه منه.

4. أنه من الزور على الله تعالى نسبة من يطلب من مخلوق تحصيل منفعة أو إذهاب بلاء إلى الكفر أو الشرك أو الحرام أو الباطل بحجة أنه الأولى أن يطلب الله وإلا لكفرنا نبي الله سليمان ـ حاشاه ـ على رأيهم .
5. الذي لا يحترم كرامات الأولياء ولا يقر بها عليه أن يهتدي بهدى القرآن الكريم فما كان آصف بن برخيا نبيا ولا رسولا بل وليا من أولياء الله الصالحين وهاهو يأتي بعرش بعيد بكرامة الله له.

<u>ختـــاما:</u>

أعتقد أن مرض انفلونزا الخنازير ليس جديدا كما يقول الأطباء فإن لم تكن أعراض الجحود ونكران الجميل ونكث العهود وطعن من أحبوك وأعطوك في ظهورهم والكذب على من أحسن إليك وإيقاظ الفتنة بين من سلموك قلوبهم ورقابهم ثقة فيك وخيانة العيش والملح وحقوق الرفقة والأخوة والانقلاب على من اطمأنوا اليك هي مرض انفلونزا الخنازير، فما هو؟.

إسلام للبيع

إننى فقط أتوجس خيفة من تجارة متنامية قوامها تسويق دين الإسلام كسلعة رائجة في واجهات السوبر ماركت الزجاجية على مرأى من العالم ،،، لزبون اسمه أنا وأنت.
==========

كانت الدنيا كل الدنيا ذات يوم ظلاما حالكا وسوادا قاتما انهار فيها الإنسان إلى الحضيض فهو يتردى من هاوية لتتلقاه أخرى يعمد إلى حجر أصم فيعلق عليه بعض التمائم والأقمشة ويقلبه إلها يتعبد له ويذبح على قدميه الذبائح ويأخذ ابنته فلذة كبده ليحفر لها حفرة عميقة يواريها فيها التراب بلا رحمة ولا شفقة، لا حلال ولا حرام كل شيء مباح بالكامل من الأعراض والظلم إلى الخمور والفجور إلى الرق والقتل إلى الكذب والنفاق إلى النهب والسرقة لا شيء ممنوع على الاطلاق.
ولكن كان الجميع على موعد مع القدر فإذ بالأرض تقترب في لحظة خالدة من السماء لتشع هداية ورعاية ورجوعا بالإنسان إلى مستواه الإنساني الحضاري اللائق به ومكانته الطبيعية الجدير بها فالتوحيد دين الله والعبادات فرض عين على كل مسلم بلا فرق بين غني وفقير وحاكم ومحكوم والأخلاق الرفيعة صفة المسلم الأساسية ،،، وانتشرت راية الإسلام خفاقة تنير ظلمات بلاد العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ودخل الناس عن اقتناع وعقيدة في دين الله أفواجا.
واستمرت المسيرة النورانية الخالدة عبر التاريخ لتكون هدفا طبيعيا للشيطان وأبنائه يكيدون لها كيدا بالسيف والفتنة والدسائس والكذب وهكذا الخير والشر في صراع أبدي دائم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.
كان ذلك حتى الأمس، أما اليوم فبسبب اتساع دائرة الاتصالات والتقدم الهائل في مجال انتقال المعلومات ما عادت لغة العنف والتهديد تجد لها سامعا بل أصبحت لعبة أطفال مقارنة بما تحققه المخططات التجارية من مكاسب ونتائج الدعايات الاعلامية لذا دارت رحى صفقات عجيبة ليست سرا ولا خفية بل معلنة كأنها مباراة كرة قدم نهائية في كأس العالم على الهواء مباشرة بأسلوب جديد كل الجدة يقوم على تعليب الإسلام اسما وصفة ومضمونا في علب لماعة مغرية ورصه في صناديق وتصديره واستيراده في صفقات دولارية مربحة، أما الزبون فهو المسلمون أنفسهم بلا حياء ولا خجل.
نعم ،،، نحن بلا شك نحتاج التكنولوجيا في حياتنا بكل صورها ولكن من حقنا أن نتساءل.

أتراه خوفا عليك من أن تتأخر عن مواعيد الصلاة وقيام الليل والإفطار ان كنت صائما فرضا أو نفلا اخترعت لك الصين الحريصة جدا على دخولك إلى الجنة مسرعا بلا ابطأ ولا انتظار حلا بسيطا يوفر عليك العناء وييسر لك إقامة الصلاة في أوقاتها عبارة عن هاتف اسمه التلفون الإسلامي يؤذن بصوت رخيم في أوقات الأذان التي تحددها أنت له ثم ألحقته لك باختراع مماثل أسمته التلفون المؤذن.

ولأنك كذلك رجل مؤمن ودينك يأمر النساء بالاحتشام وستر أجسادهن فقد استجابت شركة أيديل المصنعة للدمية (باربي) التي تقبل عليها البنات الصغيرات بشغف لفتوى جهابذة علماء الإسلام في أرض الحرمين الشريفين التي تلقى باربي فيها سوقا رائجة عند الأطفال هناك يُحرمون فيها شراء الدمية المذكورة لكونها حاسرة الرأس والذراعين والساقين فألبستها الشركة جزاها الله خير جزائه شالا اسلاميا محترما على رأسها وأطالت مقاس ثوبها فحلت المشكلة نهائيا بفضل الله وعادت باربي لتنام هنيئة مطمئنة في أحضان أطفال تلك الديار الإسلامية الحريصة على دينها صاحبة الفتوى المذكورة، هذا عن الدمية أما المرأة المسلمة نفسها فقد تكفلت دولة مساحتها أصغر من مساحة القاهره اسمها تايوان مشكورة بوقايتها من العذاب ونيران جهنم المحرقة بأن افتتحت لها خصيصا مصانع ضخمة لإنتاج ثياب المحجبات بعد الطلب المتزايد عليهن في الأسواق الإسلامية الملتزمة فليهنأ بال الجميع.

ولا تحمل هم حفظ القرآن الكريم كله أو بعضه صحيح أنك حاولت ذلك مرارا وتكرارا فلم يجد نفعا ولكنك لم تعد بحاجة لذلك نهائيا الآن فقد اخترعت لك شركة يابانية اسمها (سوني) جهازا إسلاميا صرفا ينقلك إلى مصاف أكبر الحفاظ والقراء أسمته المتهجد اشتقاقا من صلاة التهجد التي يصليها القائمون في آخر الليل تقربا وتعبدا لله تعالى بمعنى أنه يعينك على التهجد ويتكون ببساطة شديدة من شاشة تلفزيونية تضعها أمامك وأنت مستقبل القبلة بخشوع وابتهال وبها يظهر المصحف الشريف مكتوبا فإذا ما أتممت الصفحة التي أمامك وأحببت الانتقال للتي بعدها فما عليك سوى الضغط بكل ايمان وتقوى على زر صغير مركب على ساعة خاصة تضعها على معصمك الطاهر من أثر الوضوء فتنقلب الصفحة وتواصل أنت التلاوة والقيام والشكر لله تعالى ثم شركة سوني.

وعلى ذكر ساعة اليد فإن الفتوى الهامة جدا التي أصدرها بعض كبار علماء الإسلام إنكارا وتحريما للبسها في المعصم لأن ذلك يعد تشبها بالكفار الملاعين ومن تشبه بقوم فهو منهم بلا شك ولا ريب، فإن المشكلة قد حلت نهائيا بفضل فتوى أخرى أصدرها نفس العلماء

المذكورين آنفا - لله درهم - إثر ما أثارت فتواهم الأولى من سخرية واستهزأ عند البعض وعزوف من قبل المسلمين الملتزمين بمثل هذه الفتاوى المستنيرة عن شراء ساعات اليد وهو ما لا يسمح به النظام الاقتصادي الذي يستفيد منه كثيرون داخلا وخارجا والنظام الطبيعي الذي يتعامل مع الوقت كقيمة أساسية في عصرنا وتقول الفتوى الثانية بعد أن أكدت على الفتوى الأولى وأثنت عليها بشدة ان التشبه بالكفار ينعدم تماما ويصبح لبس الساعة في المعصم الأيمن تحديدا مباحا شرعا لأن الكفار لعنهم الله يلبسونها في المعصم الأيسر وفعلا عاد المسلمون والفرح يعلو وجوههم الطيبة للبس ساعة اليد بكل سعادة وغبطة لأنهم لم يعودوا يتشبهون بالكفرة الفجرة واليوم تظهر بحمد الله شخصيات إسلامية هامة على شاشات التلفزيون ومعاصمها اليُمنى مثقلة بالرولكس والجوفيال والرادو الثمينة والفضل لله وحده ولاجتهادات هذه الصفوة من العلماء لا عدمناهم.

وينبغي أيضا أن تحرص على المشاركة النشطة في مهرجان شهر رمضان الكريم الذي تحول إلى سوق خارقة للعادة لتسويق المسلسلات والأشرطة والأفلام والأغاني والمسابقات بالملايين والملايين تذهب مكاسبها هنا وهناك بعدما استطاعت وسائل الترويج الاعلامي خلق نظام استهلاكي خاص بالشهر الفضيل تنامى وازدهر مع تزايد الفضائيات العربية التي بلغ عددها الآلاف موزعة على أقمار عديدة، أما إن قدر الله لك وجمعت المال ونويت الحج أو العمرة فكن واثقا أن مشكلة السكن قد حُلت اكراما لسواد عينيك نهائيا فأمراء آل سعود الذين يملكون جل الأراضي المحيطة بالحرمين الشريفين قد هدموا المباني القديمة وبنوا لك ولمصلحتك فقط أبراجا سكنية حديثة شاهقة لا يفصلها عن الحرم المشرف إلا خطوات معدودة من عشرات الطوابق ومئات الأجنحة والغرف مجهزة بأحدث أثاث ورياش وتكييف وتستطيع أن تتأكد من هذا بنفسك في الدعايات التلفزيونية التي تظهر هذه المباني من داخلها وخارجها وبها شباب صالحون مؤمنون يصلون بكل إيمان وخشوع من داخلها جماعة خلف إمام الحرم المكي المشرف وهم يسمعون من داخل غرفهم صوت الإمام وتكبيره عبر المكبرات الموجودة في هذه الأبراج ويشاهدون بأعينهم المسلمين يصلون في ساحات الحرم عبر النوافذ الزجاجية ولا تجعل الشيطان الرجيم لعنه الله يوسوس لك بأن هذه المباني هي لاستغلالك وشفط ريالاتك من جيبك لحسابات وأرصدة الأمراء لا سمح الله فالدعايات التلفزيونية خصوصا تلك التي تشجع على العمرة في شهر رمضان لا تقول ذلك وينبغي أن تكون مؤمنا.

ودعك من أفكار خبيثة تقول لك أنه لو كان هؤلاء يخافون الله لأنفقوا قدر النصف على

الأقل من الدخل السنوي الناتج عن الحج والعمرة والبالغ عشر مليارات دولار هذا العام بدلا من التنكيل بالمسلمين كل عام في فضيحة موسمية متكررة اسمها رحلة الأهوال مابين عرفات ومزدلفة ومنى التي قد تستغرق 24 ساعة أي يوما كاملا في حين هي لا تبلغ 24كم وما يحدث فيها من وفيات ونصب ومشقة في حين بالإمكان حلها بزيادة الطرق وتوفير قطارات لنقل الحجاج ولا تتحدث عن انعدام الخدمات الإنسانية الضرورية في هذه الطريق فيقضي الرجال حاجتهم أمام الملأ أما المسلمات فهن يضطررن لكسر حيائهن وكشفن عوراتهن لقضاء حاجتهن البشرية أمام أعين الناس لأن دورات المياه الموجودة على هذه الطريق لا تكفي حتى واحدا في الألف من حجاج بيت الله الحرام لسبب بسيط جدا وهو أن هذا الطريق لا يستعمل إلا يوما واحدا مما يجعله لا يحقق مردودا نقديا فعالا لما ينفق عليه أي بدراسة جدوى اقتصادية بسيطة تجد أن كل ريال يصرف في هذه الطريق أو خدماتها هو ريال لا فائدة من ورائه، ولا تسأل عن الذين يموتون في الرجم بالمئات كل عام جراء الزحام والتخبط وسوء التخطيط الهندسي فهم شهداء نعم لم تكن نيتهم الشهادة عندما خرجوا من بيوتهم وإنما فقط أداء فرضهم والعودة لأهلهم وأولادهم وأحبابهم محملين بالهدايا وماء زمزم ولكن لحسن حظهم أنهم استشهدوا، ولا عن ذلك الحشر لمليوني إنسان حاج في بقعة ضيقة محيطة بالحرام المكي الشريف سُجلت بها أعلى ايجارات في الكرة الأرضية وأشد زحام في الدنيا على المطاعم والأسواق حيث الأكل بمنتهى الإهانة في الشوارع على قارعة الطريق بلا برقع حياء لأن المطاعم ببساطة وموضوعية لا تتسع لكل هذه الأعداد ولأن الحاج مضطر لا سبيل آخر أمامه في حين باقي أحياء مدينة مكة المكرمة خالية تشعر فيها بمنتهى الراحة والاطمئنان وأنت تتنقل في أرجائها في عز موسم الحج، ولا تظنن أنهم فعلوا ذلك ليكون الحجاج تحت السيطرة الأمنية الكاملة وتحت استغلال اقتصادي بشع مركز في تلك البقعة نعم هم يستطيعون توسيع رقعة إقامة الحجاج لتشمل كل المدينة المقدسة بتنظيم طرق المارة وبناء قطارات أنفاق وقطارات أرضية وأخرى معلقة تأتي بالناس في دقائق عند أوقات الصلاة إلى ساحات الحرم المشرف لأداء الصلاة والطواف وسواها من صنوف العبادات ثم الرجوع بها إلى مساكنهم في عموم أرجاء مكة المكرمة للسكنى اللائقة بالإنسان وصحتة والبعد عن الزحام، وللشعور بالإنسانية المهدرة هناك على أيدي من حولوا شعيرة الحج إلى اهدار لكرامة الحاج وحقوقه في السكنى المريحة بنقوده بلا جميل أو منة من أحد وارتياد المطاعم والمتاجر عوضا عن علب السردين والاكتظاظ البشري المهول إذ عليك أن تعلم أن هذه هي السُنة وأن أجدادك كانوا

يقاسون أكثر بالقدوم لبيت الله الحرام على متون الابل والبغال وحتى الأرجل فاحمد ربك.

،،،، ماذا؟ ماذا تعني؟

هل قلت أن حفلات بعض المغنين في دول أخرى يحضرها مليونا إنسان أي نفس عدد الحجاج ولا تحدث فيهم وفيات ولا مشاكل ولا زحام ولا اهانات ولا ضيق ولا كدر بل ينفض حفل المغني والجميع يضحكون في سعادة ويعودون إلى أهلهم بسلامة الله بلا اختناقات مرورية ولا اصابات ولا حتى الفوز بالشهادة ؟.

استغفر ربك فهذه الأفكار هي قطعا من الشيطان شخصيا اذهب وتوضأ وصل صلاة التوبة ليغفر لك الله هذه الوساوس، أتعني أيضا أنه بالإمكان حفر أنفاق من تحت ساحة الحرم يسير فيها الحجاج طوابير بكل نظام وهدوء ليتمكن كل منهم من تقبيل الحجر الأسود والانصراف بلا زحام مُضني وصراع عنيف متخلف وسقوط ضحايا تتناقله وسائل الاعلام المحلية والعالمية وهى تسخر منا ومن همجيتنا سامحك الله لا تدع هذه الآراء تخرج من فمك لأنها ستدخلك النار .

وأسمع الآن من فوق سجادة الصلاة المصنوعة في الهند موسيقى نشيد طلع البدر علينا من هاتفي النقال نوكيا المصنع في فنلندا مما يعني أن أحد الأحباب يطلبني ،،، فالمعذرة.

المصباح في زجاجة

إن كـان الله فـي قلبـك فلسـت بحاجـة إلـى مصباح يضـئ لـك الطريـق، لأنـك سـتكون أنـت المصباح الذي يضئ لك وللآخرين .

==========

شهر الصوم الكريم مناسبة إلهية كريمة خص الله تعالى بها صفوة عباده ليتطهروا بـالجوع له سبحانه والعطش والامتناع عن الشهوات والرغبات المباحة من أثقال كثيرة تظلم قلوبهم وتكثف لطـائفهم فتعيقهم وتـوهن سيرهم الحثيث إلـى الكمـال الأقدس، إنـه شـهر يمعن فيـه الإنسـان النظر مليا في نفسه وفيما هو حاله ليرى الحق من الباطل ويميز الخبيث من الطيب.

وها أنت ترفل في ربيع نعيم هذا الشـهر الكريم مرة بعد مرة فدعني أقول لك يا سر الله الأعظم بعض ما أفاض على جناني ونطق به لساني وجرى به قلمي من مداد وجداني جملا وعبارات وألفاظا قد تبدو لك مفككة الأوصـال متداخلة الوشـائج، فصلها وتواصل وأكملها وتكمل فإنها أنا وليس غيري.

فشهر رمضان خمسة أحرف :

أولها حرف الراء :

رعونة رعناء أن تطبق عينيك وتقفل نوافذك وتسدل عليها الستائر تطلب الظلام، فالظلام يا مسكين وباء فتاك معدٍ يتسرب إلى قلبك فيحيله ظلاما بهيما، وعندها ستكون مقابض نوافذك الموصدة قد صدأت فلا تستجيب لك إن أردت فتحها مجددا، الشهر الكريم نور رباني وشعاع ثاقب يضئ القلوب وينور الأفئدة فعش رمضان وأنت تصومه ليسري ذلك النور المبين في باطنك فيحيله نهارا متصلا لا ليل فيه ولا ظلمة.

والميم :

مضى عليك وقت طويل وأنت تلعب دورا ليس لك على مسرح الحياة الكبير، فارجع لله النظر في صفحات وجهك، وأعد التأمل في ملامحك لأنك ربما لست أنت الذي يحمل هذا الوجه الظاهر في المرأة أمامك، وإنما أرغمتك ظروفك المرة على ارتدائه، فوجهك الحقيقي جميل بشوش حنون متسامح لا سامح الله من أرغمك على تغطيته يوما بهذه الاقنعة الثقيلة السمجة، ويعزيك أنك لست وحدك على المسرح وإنما يشاطرك الأدوار الكثير من المغلوبين على أمرهم مثلك تماما ممن لا يحبون الكدر ولا يطيقون الأذى وإنما أرغمتهم

أهل الشرور على الاحتماء منهم خلف وجوه عابسة كالحة اتقاء لشرهم وصرفا لكيدهم، ناهيك بمكابدة تحصيل لقمة العيش ومخالطة الناس والقيود التي يزيد الآخرون تضييقها كل يوم على معصميك أكثر، كلها تتضافر لتشكل وجهك كما تريد هي لا كما هو في أصله.

وها هو رمضان قد أتاك مجددا وربما هي فرصتك لتستلقي مطمئنا وتشرع في ازالة أقنعة كثيرة غريبة عنك وتلقيها في سلة النفايات ويقيني أنك ستشعر بعدها أنك أكثر نشاطا وخفة بعد أن أزحت عنك هذه الأثقال المثقلة وأشرق وجهك الحقيقي باسما بعد غياب طويل كشمس ظهرت بعد غيوم كثيفة وسحب سوداء.

والضاد :

ضعُفَ المسكين عن مواجهة حاضره فهرع إلى الوحدة يظنها الجنة المفقودة، ولو كانت الوحدة جنة لأسكن الله تعالى كل عبد من عباده جنة لوحده وما أسكنهم جميعا جنته معا، فاختر لنفسك من ينهض بك حاله ويدلك على الله مقاله - وقليل ما هم - واصحبه فهو الأمان إن وجدته لتنجو سفينتك من أهوال قاسية وأمواج عاتية وترسو على شاطئ السلامة آمنة مطمئنة، وتلك كلمات شيخنا مختار السباعي رحمه الله التي طالما أوصاني بها تتردد في خاطري وتلح على أفكاري لأدونها لك، وهو يقول:

جلـــوسُ المـــرءِ وحـــدَهُ خيـــرٌ ... مـــن جلـــيس الســـوءِ عنـــدهْ

وجلـــــيسُ الخيـــــر خيـــــرٌ ... مـــن جلـــوس المـــرءِ وحـــدهْ

والألف :

الوردة عشرات من الأجفان ولكنها بلا عين ترى في وسطها، فاتفق كل الخلق على حبها والتودد إليها وزرعها وكسبها وإهدائها والاستبشار بطلعتها، تقول لك الوردة:

أيها الصائم خلق الله لك جفنين يحيطان بعين واحدة لتغمضها بهما عن الآخرين فتريح وتستريح، فكف يا مسكين عينيك عن الآخرين واترك مراقبة عوراتهم ومتابعة رعوناتهم فيكف لسانك قطعا عن الخوض في سيرتهم وحيواتهم ويهنأ عيشك ويطمئن فؤادك، وستكون محبا محبوبا مثلي أنا الوردة، فالبعض حاول فتح القلوب بالخمر والدم فخسر، والبعض بالقوة والعنف فانكسر، وكله باطل فالقلوب لا تفتح إلا بالله تعالى، حتى المال بنوعيه يعجز عن حل أقفال القلوب وفتح مغاليقها، أقول بنوعيه لأن المال الذي ينفعك هو طريقك للحرية وهذا نوع، والمال الذي يضرك هو طريقك للعبودية وهذا نوع من المال آخر واسمح لي أن أسرد عل مسامعك حكمة بالغة وقعت عليها في مدينة درنة سنة 1990م

حيث شرعت في صيانة المنزل وتغيير منافعه الصحية واستأجرت لذلك رجلا مسنا فاضلا اسمه الحاج رمضان بن عروس يعمل سباكا وينتسب إلى طريق القوم لم تيسر له ظروفه كجل أبناء جيله الفرصة للدخول إلى المدارس ونيل الشهادات ولكنه عامر الفؤاد، نبيه الفكر، ذكي العقل، وتحادثنا مرة عن الدنيا وعجائبها واغترار العوام بمظاهرها الفارغة وزخارفها الجوفاء فردد مقاطعا شعرية جميلة جدا حفظتها عنه وطلبت بقيتها بشدة في مصادر الأدب ودواوين الشعراء حتى وقعت عليها وهي كاملة:

مــن كــانَ يملــكُ درهمــينَ تعلمــت	شــفتاهُ أنــواعَ الكــلامِ فقــالَ
وتقــدمَ الإخــوانَ فاســتمعوا لــهُ	ورأيتــهُ بــينَ الــورى مُختــالا
لــولا دراهمُــهُ التــي يزهــو بهــا	لوجدتــهُ فــي النــاسِ أســوأَ حــالا
إن الغنــيَّ إذا تكلــمَ بالخطــا	قــالوا صــدقتَ ومــا نطقــتَ مُحــالا
أمــا الفقيــرُ إذا تكلــمَ صــادقا	قــالوا كــذبتَ وأبطلــوا مــا قــالا
إنَّ الــدراهمَ فــي المــواطنِ كلِها	تكســو الرجــالَ مهابــةً وجمــالا
فهــيَّ اللســانُ لمــن أرادَ فصــاحة	وهــيَّ الســلاحُ لمــن أرادَ قتــالا

توفي الحاج رمضان سنة 2002م رحمه الله فقد كان خبيرا بالدنيا وأهلها.

أما الشاعر أحمد رفيق المهدوي وهو من شعراء ليبيا المبرزين وله مئات القصائد التي حوتها وحفظتها للأمة دواوينه المنشورة، وشعره غزير متعدد الأغراض يسيل أنهارا في فنون عديدة كالوطنيات والمدح والرثاء والغزل والوصف وسواها.
وقد ابتدأت علاقتي بشعره في الستينيات منذ كنت طالبا في المرحلة الابتدائية حيث كنت اقرأ له، وأول ما حفظت له طفلا قصيدة جميلة مقررة في المنهج المدرسي اسمها (غيث الصغير)، ولكنني أعتقد أن كثرة شعره كانت سببا في ضعفه وخلوه من مظاهر القوة؛ فالتركيز الشعري أشبه بالملح كلما كبر الإناء قل تأثيره فيه والعكس صحيح، وباستثناء عمالقة قلائل منهم المتنبي وهو أصلا قمة لا يقاس به شاعر سابق أو لاحق، والمعري وابن جابر الأندلسي؛ فإنك قلما تجد شاعرا مكثرا إلا واتسم شعره بالضعف ولعل الشاعر أبو العتاهية من أبرز الشواهد على ذلك، وفي كل دواوين الشاعر أحمد رفيق لم يعجبني إلا بيت واحد أحب أن يكون له موضعا مبرزا في معاني شهر صومنا الكريم حيث يقول:

مــن ظــنَّ أن علــى الوظيفــةِ رزقــهُ	عبــدَ العبيــدَ وناصــرَ الظُّلامــا

وأعتقد أن الذي أعنيه صار بعد هذه الشواهد الكريمة واضحا جليا؛ إذ يقول لك الشهر الكريم:

اصرف نظرك أيها الحبيب عما بأيدي الخلق فكله ناقص مقيد قليل، وما وهبك مولاك دائم لا ينفد فبدنك قوي تطيعك أطرافه وتتفانى في خدمتك والشمس لك تتنعم بخيراتها مشرقة وغاربة والقمر قنديل جميل معلق في السماء يضئ لك والشجرة تطعمك وتظلك، والأرض تحنو عليك وتقلك والماء يسقيك ويرويك والهواء ينعشك ويحييك، أنت في الحقيقة ملك جالس على عرش مكين ولا تعلم، تأمر فتطاع وترغب فيستجاب لك، جزى الله خيرا هذا الشهر الكريم وقاتل تلك الحجب الكثيفة التي ما فتئت تحجب عن بصيرتك الرؤية.

والنون:

نومك مضطرب وصحوك قلق لأنك ترتدي جلد القنفذ بالمقلوب، انظر حولك وستجد أن نحيب الخريف هو ربع العام فقط، والثلاثة أرباع الباقية لا نحيب للخريف فيها، فارجع جلد القنفذ إلى وضعه الطبيعي فإن العمر لأقصر بكثير من أن يتسع لوخزة واحدة من أشواكه المؤلمة، فما بالك بما هو أكثر.. وإن كنت تحب الحياة فلا تضع وقتك لأن الوقت هو المادة التي تصنع منها الحياة، أما إن كنت تبحث عن مكان لنفسك تحيا فيه تحت الشمس فعليك أن تتحمل لفحاتها.

كثيرون حولك يحبونك ويبتسمون لك ويبذلون جهدهم لإدخال السرور على قلبك، ثم يفرحون لابتسامتك ويتألمون لعبوستك ولكنك لا تريد أن تراهم أو تبادلهم طيب مشاعرهم لأنك تعتبر حبهم وبذلهم حقا طبيعيا لك لا ينبغي أن تشكرهم عليه ولا أن ترده لهم بالمثل، كم أنت جهول أعمى البصيرة، فالحب يا مسكين هو أثمن ما في الوجود، وكل شيء قد تأخذه من بني الإنسان خوفا أو طمعا إلا الحب فإنهم لا يهبونه إلا عن رغبة وطيب خاطر، فلا تستهن بمشاعرهم لأنك إن فقدتها فقدت كل شيء، وافرح بهم وبادلهم أحاسيسهم الكبيرة وكف عن التجاهل والمكابرة وكسر خواطرهم، فجوع بطنك لسويعات في شهر رمضان ينبئك عن مجاعة قاتلة يُقاسي ويلاتها أولئك الذين حرموا شيئا كبيرا اسمه (الحب) لولاه ما لذ في الدنيا طعام ولا ساغ شراب ولا هنئ نوم.

ويوما ما ربما يفيض خاطري بالكتابة عن رجل اسمه (رسلان) عاش لوحده من الأحداث المفرحة والمؤلمة ما يكفي سكان مدينة كاملة وعتها كلها لشقائه ذاكرته الجبارة فصاغها وقائع مهولة مذهلة يرويها ويحدث بها خُلص من يجالسه في عزلته، يحفظ الشعر ويقرضه ويرويه وينسبه إلى قائليه ويذكر مناسباته وملابساته، كان يعيش رحمه الله في وادي

الحمارة بضواحي مدينة كمبوت شرق طبرق وهو رجل عجوز أدركته فقد الحب منذ طفولته المبكرة فبحث عنه كثيرا حتى أعيته الحيل ولم يجده قط فأسلم نفس مضطرا للشقاء وقضى حياة تعيسة في كوخ صفيح يجتر آلامه وحيدا بلا أنيس، وقاكم الله وحياكم.

جامعة مملكة الحيوان المتحدة

تعلن
عن إمكانية قبول طالب واحد

لا ،، لا يوجد خطأ مطبعي في الإعلان فالجامعة فعلا لا تقبل إلا طالبا واحد رغم أنه طالب خائب ولم تجد معه الدروس منذ أن وجد على سطح الأرض نفعا إلا أن جامعة مملكة الحيوان المتحدة تفتح أبوابها الواسعة سعة الكون له بين الفينة والأخرى ليجلس على المقعد الوحيد بها تلميذا في الصف الأول ليتعلم على أيدي ملايين الأساتذة ممن سبقوا وجوده في الدنيا بمليارت السنين ومع هذا - للأسف - غالبا ما تكون النتيجة: لم ينجح أحد.

حمار العزير:

ما بالنا نسمع وكلنا ألم وذهول عمن يخونون قيم العيش والملح ويدوسون بأرجلهم العاقة حقوق الجوار والرفقة والأخوة والذكريات المشتركة ويغتالون بخناجر الحقد الثقة التي مُنحت لهم وينقلبون كالأفاعي على من أحسن إليهم فيفشون كالجبناء أسرارهم ويكيدون كالمجوس لهم كيدا ويفترون كالرعاع عليهم الأكاذيب إفتياتا وينشرون كاليهود الفتن نشرا، كأن لم يجمعهم المجلس الواحد والعيش الواحد يوما، حمار رافق صاحبه فأكل من يده وشرب من دلوه وشاركه حياته وسار معه فنسب إليه وصار يُذكر معه حيثما ذكر، قاتلهم الله أعجزوا أن يرقوا إلى مستوى الحمير صدقت سيدي رسول الله حيث قلت: {رب ركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله - رواه أحمد وأبويعلى والطبراني والحاكم}.

{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - البقرة 259 }

عزير بن سوريق بن عرنا يرتقي بنسبه لرسول الله سيدنا هارون بن عمران من مدينة ساير آباذ بالعراق لم يكن نبيا أو رسولا وإنما هو عبدً صالح حكيم من بني إسرائيل خرج ممتطيا حماره ذات يوم إلى مزرعة له فقضى بها وقتا طيبا وأخذ منها بعض ثمارها من تين وعنب وقفل على ظهر حماره راجعا وكانت الظهيرة وأصابه الحر فتوقف للراحة عند آثار مدينة

قديمة قد باد أهلها واندثروا وصارت خرابا يبابا ونظر اليها وهي خاوية على عروشها وقال: {**أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**} ولحكمة الهية عظمى تكون عبرة خالدة للأجيال قبض الله تعالى روحه ليس حتى يوم البعث كسائر الخلق بل فقط لمدة 100 عام متصلة حدثت فيها أمور وأحداث كبيرة على قومه ثم بعثه الله من جديد فاستوى جالساً، ليسأله رب العزة: كم لبثت؟

فأجاب الرجل الصالح عزير: لبثت يوماً أو بعض يوم.

فأجابه الحق سبحانه: بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك من خبز وتين وعنب وشرابك {**لَمْ يَتَسَنَّهْ**} يعني لم يتغير، فنظر فإذا هما ويا للعجب على حالهما لم يتغير منهما شيء رغم مرور قرن كامل من الزمان، وليس هذا كل الأمر بل انظر إلى حمارك، فنظر إلى حماره وقد مات وذاب جلده وزالت أوصاله وبليت عظامه وصارت نخرة، وإذ بهذه الأعضاء المهترئة الرممة تُقبل من كل ناحية وصوب لتتشكل هيكلا عظميا متكاملا وعزير ينظر ثم تنتظم شبكة العروق والعصب ثم كساها اللحم ثم نبت عليها الجلد والشعر، ثم قام الحمار حيا من جديد.

وهنا خرجت الجوهرة التي نحن بانتظارها: {**فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**} من إحياء الموتى وغيره.

فركب حماره العائد إلى الحياة من جديد حتى أتى أهله وجيرته وقريته ليجد أحفادهم محلهم فأنكره الناس وأنكر هو الناس، وكان الملك بختنصر بعده قد غزى بني إسرائيل وأحرق التوراة ولم يبق منها شيء <u>وللتاريخ أسجل أن تواتر التوراة انقطع قبل العزير، فجدد لهم عزير التوراة</u> وكعادتهم في الضلال والخبال بدلا من شكر الله والاعتراف بعظيم قدرته قالوا: عزير ابن الله.

{**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** - التوبة 30 ، 31 }

وبذا كان الحمار أفضل من كثير ممن يعدون على جنس الإنسان ظلما .

<u>كلب أهل الكهف:</u>

رويت مُسندا عن شيخنا محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه (ت 870هـ) صاحب كتاب {دلائل الخيرات} ميزات عشر اختص بها الكلب وتتبعت أثر أصل الرواية فوجدته في

كتاب للشيخ محمد الراعي الأندلسي اسمه {انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك} ويروي فيه عن الحسن البصري أنه قال: في الكلب عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في كل فقير:

1. يظل جائعا دائما وهو من آداب الصالحين.
2. ليس له موضع يعرف به وهذا من علامة المتوكلين.
3. لا ينام من الليل إلا القليل وذلك في صفات المحسنين.
4. إذا مات ليس له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين.
5. لا يهجر أحدا حتى لو طرده وذلك من شيم المريدين.
6. يرضى من الدنيا بأدنى يسير، وهذا من إشارات المتواضعين.
7. إذا غُلب عن مكانه تركه وانصرف إلى غيره وهذا من علامات الراضين.
8. إذا طُرد ثم دعي أجاب وهذا من أخلاق الخاشعين.
9. إذا حضر الأكل وقف ينظر من بعيد وهذا من أخلاق المساكين.
10. إذا رحل من مكانه لا يرحل معه بشيء وهذا من علامات المجردين.

قلت: ولي أن أزيد في ذلك أن الكلاب تؤدي أعمالا مهمة للبشر وعندها استعداد لتعلم المهارات لأنها ذكية ومخلصة فمنها ما يحرس المنازل والمصالح ومنها ما يجر العربات وعليها الناس كما في القطبين وما ينقل انتاج المزارع من الحقول إلى الأسواق وما تستخدمه الشرطة في التعرف إلى الجرائم ما يدل المكفوفين إلى بيوتهم وأماكن عملهم، وما يحذر الناس من الزلازل والبراكين الآتية وسواها.

لقد استغرقت وقتا طويلا لأعرف الدنيا ولأعلم أن الكلاب قد تكون أفضل من كثير من البشر، وكنت مترددا في الجهر بهذا الرأي حتى وجدت مؤيدا فتشجعت على البوح به إنه ابن المرزبان الذي ألف كتابا أسماه {تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب} وبإمكانكم الاطلاع على الكتاب لمعرفة أدلة ابن المرزبان فيما ذهب اليه أما أنا فهاهو دليلي أمام أنظاركم ،،، دليلي كلب - أجلكم الله - اسمه قطمير نعم كلب ولكنه كلب خلده القرآن الكريم فلن يُنس إلى يوم الدين.

ذكر الله تعالى قصة أهل الكهف وكلبهم في سورة الكهف وهي من أعجب القصص {**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** - الكهف 9}، ورغم أن قصصا قرآنيا عديدا شارك القرآن الكريم الانجيل والتوراة في روايته إلا أن قصة أهل الكهف انفرد القرآن الكريم بروايتها دون الكتب الأخرى .

{وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا - الكهف 18}.

ومكان هذا الكهف الذي جرت به أحداث هذه القصة القرآنية الخالدة هو في سفوح جبل المرقب بليبيا على ما ذكره المؤرخ الليبي الشيخ عبد السلام بن عثمان في كتابه الاشارات ص 45، 46 منذ قرابة الثلاثمائة عام تقريبا، بل زاد ان سيدي عبد السلام الأسمر رضي الله عنه كان يقول بذلك أيضا ويقدم لزيارتهم من زليتن، يقول الشيخ عبد السلام بن عثمان رضي الله عنه في الإشارات:

(وشاع أن الشيخ سيدي عبد السلام جاء لذلك الموضع وترك فرسه عند سيدي خليفه الشويشين وانحدر إلى مغارة هناك فلما ابطأ عنه لحقه وأشرف على المغارة فرأى كلبا عظيما وهرَّ عليه هرة كاد أن يموت منها، ثم جاءه الشيخ ولامه على اتباعه، فسأله سيدي خليفه عنه؟

فقال له: إن هؤلاء أصحاب الكهف وذلك كلبهم).ا.هـ.

كما زارهم من أولياء الله الصالحين المعاصرين ملك ليبيا سيدي إدريس السنوسي وزارهم غير من ذكرنا بهذه النية كثير من الصالحين والصالحات والعلماء والفضلاء، وحيث أنني ممن يعرفون أقدار الرجال وأعلم أن سيدي عبد السلام الأسمر ليس ممن يلقون القول جزافا على عواهنه فأنا على ما عليه هو ومن ذكرت ممن أعتقد صحة رأيه وأقول بأن (الوصيد) أي كهف أهل الكهف وكلبهم هو الذي زرته في أعلى جبل المرقب، غير بعيد عن مدينة لبدة الرومانية الأثرية.

وقد توارث أهل تلك المنطقة على مدى مئات السنين مزارا سنويا تحت اسم مزار أهل الكهف يقيمونه يقدمون فيه الطعام لعابر السبيل والفقير.

أقول لحضراتكم هذا وأنا على علم تام باختلاف الأقوال حول مكان الكهف فمن قائل إنه بالقرب من مدينة أزمير في تركيا وقائل إنه بالقرب من عمان عاصمة الأردن، ومن قائل في فلسطين وقائل في سوريا وقائل في الحجاز وقائل في اليمن وفي كل هذه الأمكنة هناك كهف يزار على أنه كهف أهل الكهف وكلبهم وبعضها ببابه مسجد قديم ايضا.

هذا من ناحية المكان أما الزمان فلا خلاف كبير فيه، والجميع يثبت بأنه مر علي هذه الحادثة التاريخية العجيبة قرابة 17 قرنا.

كان أهل ذلك المكان من الإمعات وفاقدي الرأي .. وكانت ليبيا وقتها تحت الحكم الروماني ويحكم المنطقة طاغية اسمه ديقيانوس على عبادة الأصنام هو وقومه.

ولكن كان هناك سبع فتيه امنوا بالله فزادهم ربهم هدى هم: مكسلمينا وتمليخا ومرطوس ونينوس ودردوتس وكفاشطهواس ومنطواسيرس .

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا - الكهف 13، 14، 15}

امنو بالله وأنكروا على قومهم عبادة الأصنام والسجود لغير الله هؤلاء الفتيه المؤمنون هم الذين صاحبهم الكلب وبات تابعا لهم منذ أن رآهم وقضى بعد ذلك حياته معهم لم يخنهم أو يقطع ودهم أو ينقلب عليهم كما يفعل بعض بني البشر رغم كل ما قاسى وعانى، وبقي على ذلك الوفاء إلى أن توفاه الله معهم بل بقي على ذلك حتى بعد بعثه وبعثهم من الموت من جديد بعد 309 سنة.

إذ علم ديقيانوس بأمر الفتيه فغضب غضبا شديدا وأرسل عسكره فأحضروهم وطفق يهددهم بالعذاب والقتل إن لم يرجعوا لدين الضلال ولكنهم رفضوا فأمهلهم أياما وهبط الليل فاجتمع الفتية وناقشوا أمرهم ثم قرروا الرحيل عن أرض الكفر ليلا ومعهم كلبهم الوفي.

{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا - الكهف16}

فوجدوا في أعلى جبل المرقب وصيدا أي كهفا كان بعض الرعاة يستعمله مأوى لأغنامه إذ كان أحد الفتية راعيا أصلا ويعرف مثل هذه الأمور فدخلوه واستراحوا واطمأنوا وأكلوا هم وكلبهم ثم بسط الكلب ذراعيه على باب الكهف وغطوا هم في سبات داخله.

{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا - الكهف 10،11 } .

ليستيقظ المؤمنون وكلبهم **{ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا** - الكهف 12}

وقد اشتد بهم جميعا الجوع وليجدوا أثار الزمن فد كستهم بغطائها السميك لقد طالت لحاهم واسترسل شعرهم بغزارة، قال أحدهم ربما نمنا يوماً أو بعض يوم وقال آخر الله أعلم بما لبثنا.

ثم قر قرارهم على أن يرسلوا رفيقهم الراعي لشراء الطعام واستطلاع الأحداث فخرج والكلب الوفي يتبعه ودخلا المدينة التي تغيرت ملامحها تماما حتى لا يكاد الراعي يعرف منها شيئا وقصد دكانا وطلب طعاما وأخرج عملة الفضة التي معه فاستغربها التاجر كما

استغرب هيأته وثيابه ولهجته وطريقة كلامه، وقال له: إنها عملة أثرية منقرضة.
وانتشر الخبر وكانت قصه اختفاء فتية مؤمنين تتداول في المدينة ووصل الخبر العجيب إلى الحاكم وهو الآن غير دقيانوس الطاغية بل رجل مؤمن فاستدعى الراعي وهو على هيأته تلك وسمع منه قصته كاملة ثم صحب الراعي والكلب إلى الكهف لتتكشف الحقيقة الإلهية العظمى أمام الجميع وإنهم امضوا 309 سنه نياما في الكهف {**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا** - الكهف 25} .
شاء ربك ألا يعمروا بعدها لقد توفوا هذه المرة كباقي خلق الله وقرر الملك وأهل المرقب أن يبنوا عليهم مسجدا تبركا وحبا وتخليدا لهذه المعجزة الالهية الخالدة.
{**وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا ۖ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا** - الكهف 21}
يالبركة حب وصحبة الأولياء والصالحين لقد شملت حتى كلبهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وصار له ذكر وخبر وشأن في أقدس الكتب.

<u>قرود السبت:</u>

سمى الله تعالى في القرآن الكريم من المخلوقات الحية عدا الإنسان 50 مسمى، هي:
البعير - البقر- الثعبان – الجراد – الجوارح – الحام - الحمولة- الحية - الخنازير- القردَة - القمّل - المعز- الناقة - النحل- الهدهد – الأبابيل – الأنعام – البحيرة - البعوضة - الدابّة - الذباب – الصافنات - الطائر- البغال – الجمال – الجياد - الحمار- الحوت – الفيل – القسورة – الكلب – الموريات – النعجة – النمل – الوصيلة – الإبل – البُدن – الخيل - الذئب - دابّة الأرض "الدودة"- السائبة- الضأن – العاديات – العجل - العشار- الغنم – العرم - العنكبوت – الغراب - الفراش.
ولكن من بينها جميعا اختار الله تعالى واحدا فقط هو أنكرها صفة وأقبحها صورة وأرذلها فعالا ليكون مثالا حيا على ناكث عهده وخائن معتقده وبائع من وثقوا فيه وواهب نفسه واسمه وسمعته للردى لا يخجل من نشر أسرار وأخبار من أحبوه من صميم قلوبهم يوما وأعطوه خلاصة ودهم وصفوهم ووثقوا فيه ثقة عمياء خرساء وسلموه أرزاقهم ومصائرهم وأسرارهم وأدخلوه ديارهم وأحلوه عزيزا كريما بين أهلهم وناسهم لذا استحق أن يكون على أقرب المخلوقات شبها بطباعه فكان القرد.

يحدثنا القرآن الكريم عن صيادين عقدوا عهدا مع أسماكهم وتبادلوا وإياهم عهد الله ألا يخونوهم ولا يصطادونهم يوم السبت فكانت الأسماك تأتيهم شُرعا أي تخرج بوفرة وكثافة آمنة مطمئنة يوم السبت كبارها وصغارها سمينة لامعة تأكل وتقفز وتمرح أما باقي أيام الأسبوع فمن حق الصيادين أن يصطادوا منها كما يشاءون وبقوا على ذلك العهد الوثيق مدة ينعمون بالعيش الواسع والرزق الغزير والراحة الهانئة واحترامهم لأنفسهم واحترام الغير لهم، ولكنها الخيانة والنذالة الملازمة لذوي النفوس المريضة السقيمة إذ نكث الصيادون الأرذال عهدهم مع الأسماك وقد أغرتهم وفرتها يوم السبت فتربصوا لها يوم سبتهم غدرا وعدوانا واصطادوها بالخداع دائسين بأقدامهم الخائنة على أسماكهم التي أخذت عليهم عهد الله وأمان المواثيق فكان عاقبة من نكث العهد وخان الأمانة أن يكون قردا.

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ - البقرة 65} .

لذا إذا نظرت إلى قرد - اجلك الله - بأنفه العريض ومنخريه الضيقين الزافرين نحو الجانبين فاعلم أنه على صفة ناكث العهد خائن الثقة تحديدا.

ولا أدري على أي أنواع القرود مسخ الله تعالى هؤلاء الناكثين الغادرين ولكنني لا أعتقد أن صورهم تخرج عن هذه الأنواع الأربعة الغوريلا أو الأورانج أو الشمبانزى أو الجابون لكونها أقرب أنواع القرود شبها بهم.

خصوصا قرد الغوريلا المتميز باختفاء ذيله وطوله الذي يتجاوز المترين ووزنه الذي قد يصل إلى 225 كيلو جرام وهي أرقام نجدها عند بني الإنسان وأهداب جفن عينه السفلى وهو ما ليس لغيره من الحيوانات وسرعة فهمه وقدرته على التقليد وحاسة بصره المماثلة للإنسان وكذلك كيفية حمل إناثه وطريقة حملها أولادها وإرضاعهم من صدرها.

الرجل العنكبوت

شتاء سنة 1980م صحبة شيخي وأستاذي مختار السباعي رحمه الله في زاوية المرج العيساوية وهي عتيقة البناء قديمة الإنشاء، والبرد قارص وشيخي ناحل العود ضعيف البنية واهن القوى تثقله عباءته المصراتية السميكة التي يلفها حوله بإحكام، وقد كنت لطول الصحبة لا أحتاج أن يخبرني حضرته بما يريد، فأجلسته في المكان الذي يحب إذ يفضل عادة الجلوس في زاوية الحجرة وقربت منه ما يحتاجه وطفق رحمه الله يحادث من حضر بما حضر فرأيت أعلى رأسه الشريف على الجدار خلفه حشرة كبيرة نوعا في طريقها إلى عباءته فمددت يدي لأقتلها، وما كنت أعتقد أنه يراها أو يرى ما أنوي فعله.

فقال : لا تفعل.

قلت : خفت أذاها عليك.

فقال : دعها، ففيها من الروح نفحة.

لحكمة إلهية عظمى ربما لتنبيهنا إلى شركائنا في حياتنا ووجوب احترامنا لهم والمحافظة عليهم سمى الله تعالى بعض سور كتابه الكريم بأسماء بعض مخلوقاته هي البقرة والنمل والعنكبوت والنحل والفيل والأنعام .

كما ذكر في ثنايا وحيه المحفوظ الطير والجوارح والكلب والسبع والبقر والثعبان والجراد والسمك وطائر السلوى والضفادع والقمل والقردة بل زاد الأمر ايضاحا وتخصيصا فذكر بعض أجزاء من الحيوانات كالخرطوم و الحوايا والفرث والجناحين والبطن.

وذكر أيضا بعض ما تنتجه هذه المخلوقات لينتفع به الإنسان مثل البيض والعسل واللبن والأوبار والجلود والأصواف واللحوم والشحوم.

والأهم من ذلك كله أن الله تعالى ذكر لنا من عجائب مخلوقاته في القرآن الكريم دروسا وعبرا ومواعظ لبني الإنسان في مواضع عدة أحيانا لبيان الحرمة كالخنزير أو للنظر والتعبد بالعقل والمعرفة كالإبل أو للتشريف كالخيل وأحيانا لنرى بعض الناس على حقيقتهم فنكتشف أنهم مخلوقات ضارية ترتدي لباس بني الإنسان فتجد فيهم الرجل العنكبوت ولا أقصد Spider man الذي يشاهده الأطفال في الأفلام والرسوم المتحركة والحقيقة ليس الأطفال وحدهم فأنا شخصيا متعتي التلفزيونية المفضلة هي (توم أند جيري) الذين كثيرا ما زاحمت الأطفال على متابعة مشاكساتهما التي لا تنتهي بينهما قط.

بل أقصد الرجل العنكبوت الحقيقي الذي لا يرتدي الملابس المزركشة ولا يقفز بخيوطه الرفيعة على العمارات الشاهقة ولكنه يرتدي ثيابنا ويقفز من فوق أسوار ثقتنا به ليغدر بنا

في الظلام، إذ بقدر ما هو عادي الصورة والمظهر هو عنكبوتي الطوية والمخبر وهلموا بنا نراه عن كثب معا.

العنكبوت

لو أردنا أن نشبه ناكث العهد خائن الثقة من بني البشر ونصف حيله الدنيئة وأساليبه الخبيثة في تصرفاته ونشر فتنه وأكاذيبه لما وجدنا له في القرآن الكريم أبلغ من وصف العنكبوت **{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ـ العنكبوت41}.

فأول ما نلاحظه في العنكبوت أنه وحيد منبوذ لا يأوي لأحد ولا يأوي إليه أحد فتجد السورة الكريمة سُميت بصيغة الإفراد العنكبوت وليس العناكب، بينما نلحظ روح الجماعة والتكافل والثقة في حشرات أخرى نافعة في القرآن الكريم كسورتي النحل والنمل والتي جاءت التسمية فيها بالجمع.

ثم إن فتن هذا النوع من البشر هي لو نظرت نسيج متداخل من الأكاذيب والحيل والأقسام الحانثة والتمويه والتلاعب، إنها شبكة عنكبوتية ولكنها في الوقت نفسه أوهن البيوت وتعالوا ننظر لماذا هي كذلك.

فأولا: هو نسيج ضعيف بل أضعف نسيج على الإطلاق يتكون من خيوط دقيقة متشابكة تاركة مسافات كبيرة بينها لا تنفع أحدا حتى أولئك الذين استمعوا له، ولا تُحدث لهم ظلا ولا تقيهم شمسا ولا مطرا ولا بردا ولا ريحا انها بكل بساطة وهم في نسق أوهام.

ثانيا: قوله تعالى **{وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ}** يوضح أن الوهن في تركيبة المقيم في البيت وليس في الخيط فقط وكذلك ذلك الناكث الخائن للعيش والملح الغادر المفشى للأسرار المتجاسر على حرمات الثقة فهو يعيش عمره محروما من معاني المودة والرحمة فمن مازال يألفه ويثق فيه وقد عُرف بين الناس بالغدر واشتهر بخيانة العهود والتجاسر على حرمات من وثقوا فيه، كما أن طبيعته المريضة لا تسمح له بأن يكون إلا على شاكلة العنكبوت ،،، وما أدراك ما العنكبوت فأنثي العنكبوت تفترس الذكر وتلتهم من يقع في براثنها من صغارها دون رحمة أو شفقة أما الصغار فيقتتلون فيما بينهم بمجرد الفقس من البيضة فيقتل الأخ أخاه وأخته وتقتل الأخت أختها وأخاها، انها حياة تنعدم فيها أواصر القربى وتغيب عنها صلات الحب والألفة ومن هنا ضرب الله تعالى بها المثل في الوهن والضعف.

أما من يستمعون لناكثي العهود ويصدقونهم و يرجون نصرهم لهم ورزقهم ويتمسكون بهم فلن يجنوا منهم إلا صفير الريح لأنهم لن يجدوا عنهم شيئاً.

ثالثا: خلقة العنكبوت نفسها تكاد تتطابق مع الناكث الخائن الغادر من بني البشر البائع لناسه والواثقين فيه إذ لها 8 عيون وهو كذلك يمد بصره إلى أدق الأسرار ليفشيها وهي تنسلخ عن جلدها من سبع إلي ثماني مرات وهو أيضا لا انتماء ولا لون له وإنما ينسلخ من حال إلى حال ومن رأي إلى رأي ومن موقف إلى موقف كل يوم له صديق يقابله بشكل ولون ووجه جديد، وهي تحيا حياة برية فردية وكذلك هو إذ خاتمة مطافه أن يشتهر أمر خياناته ونكثه ليبقى وحيدا منبوذا وهي تتخذ لها عشا أو مخبأ غير البيت يرتبط به بخيط يعرف باسم خيط المصيدة، وتهرب إلي هذا المخبأ في حالات الخطر لكأننا نصفه هو بعينه قاتله الله.

رابعا: لا يقتصر بيت العنكبوت على أنه مأوى يسكن فيه بل هو في نفس الوقت مصيدة يقع في حبائلها اللزجة الماكرة من يسقطون فيها ليكونوا لها أول فريسة وكذلك من نعنيهم إنما ينصبون مصيدة متقنة يكون في دخولها حتف وهلاك من سقط ـ لا سمح الله ـ في خيوطها الخفية التي يصطادون من خلالها ضحاياهم.

الفراش المبثوث

سُئل الإمام الشافعي يوماً: كيف عرفت الله؟

فأجاب: عرفته بورقة التوت تأكلها النحلة فتخرج عسلاً، وتأكلها الشاة فتخرج بعراً، وتأكلها الدودة فتخرج حريراً، ويأكلها الغزال فيخرج مسكاً.

وهكذا الحياة يزرع الخيرون الخير ليجنيه غيرهم فمنهم من ينتفع به ويشكر نعمة الله ومنهم من يبطر ويقلبه شرا وأذى على من مدوا أيديهم له بالإحسان يوما.

يرسم لنا الكتاب الكريم صورا رائعة في شكل أمثلة وأوصافا بلاغية اعجازية ومنها قوله عز من قائل: {**يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ** ـ القارعة 4}

ولو نظرنا في هذه الفئة الظالمة لنفسها التي نتحدث عنها لوجدنا فيها شبها كبيرا بهذا التشبيه القرآني المحكم فالمبثوث تعني المنتشر والمتفرق لكأننا أمام ناكث خائن يسير بفتنته جيئة وذهابا ليفرق من اجتمعوا على الحب والمودة ويزرع بينهم الكره والأحقاد بأساليبه الشيطانية الخبيثة وتراه مع هذا في حيرة حاطب ليل ربما لفق أكاذيب في الصباح وفضح الله كذبه وقت المساء وربما أقسم أغلظ الإيمان أمام من يغرر بهم ويخدعهم ليتبعوا فتنته ليكتشفوا فيما بعد أنه حانث في أيمانه.

وكذلك لو تأملت حشرة الفراش فهي تهيم بدون هدف محدد أثناء طيرانها حتى أنها تظل تطير وتدور ليلاً حول سراج الكهرباء في المنازل لتحرق جناحيها وتنتحر أخيرا من دون

هدف.
ومن نعم الله أن الفتنة وأهلها لا يدومون طويلا فسرعان ما تتكشف أحقادهم ومأربهم الشخصية الخبيثة وتتبدد أحلامهم شظايا لذا فعمر فتنهم ومكائدهم كأعمار الفراش المبثوث الذي يتراوح مابين أسبوع واحد و 18 شهرا في أطول أنواعه عمرا.
وجه التشابه الأخر أن معظم أنواع الفراش تظهر ليلاً وكذلك من نعنيهم لا يعملون في الضوء تحت الشمس وإنما يحيكون شرهم في دامس الظلمات، اللهم أظلم نور أعينهم واتركهم في ظلمات لا يبصرون.

النحل

مخلوق صغير جميل المنظر جبل الناس على احترامه وتقديره وهم لا يقتلونه كالقمل ولا يتقززون منه كما في الصراصير وإنما يربونه ويبنون له الخلايا ويشترون له الأعلاف ويوفرون له الأدوية إذا ظهرت عليه أعراض المرض وينظرون بإعجاب شديد إلى ملكته وكل أبناء مملكتها ،،، ترى لماذا؟
لأنه متواضع يسكن حيثما تيسر له في الجبال والشجر وبيوت الناس المعروشة {**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ** - النحل 68} ولا يتعفف على نعم الله أو يتعالى فلا يأكل إلا هذا الطعام الفاخر أو ذاك {**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ** - النحل} حلوها ومرها وليس نوعا واحدا والنتيجة عسلا حلوا غذاء ودواء {**يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** - النحل 69}.
كل الفضلات التي تخرج من جميع المخلوقات بما في ذلك فضلاتنا نحن بني الإنسان مستقذرة عفنة الرائحة يتخلص الناس منها ومن رائحتها الكريهة حتى أنهم لا ينطقون اسمها استقباحا واستهجانا إلا فضلات النحل لا نسميها برازا بل نسميها عسلا ونشتريه بغالي المال ونأكله أتعلمون لماذا لأنها تذللت لله تعالى فكافأها بأن جعل استثناء عظيما فلا يخرج من جوفها إلا العسل {**فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً** - النحل}.
أيها الإنسان ،،،، تبذل النحلة جهدا جبارا لإعطائك هذا المنتوج العظيم إذ يحتاج منها انتاج كيلو واحد من العسل مجهود 15 ألف ساعة عمل دون توقف أي ما يعادل عاما كاملا و5 أشهر تقطع خلالها مسافة 225كم من سبل ربها.
ولكن تحققت هذه المعجزات في مجتمع النحل لأنه يخلو من المفتنيين والمفسدين الذين يلاقونك كل يوم بوجه تجري الخيانة في دمائهم ينشرون الأكاذيب والفتن والضلال، مجتمع

النحل ليس مفككا متخاذلا وإنما منسجم متكافل يسوده الاحترام والوفاء لبعضهم البعض فيتعاون الجميع دون كلل ليوفر لك منتوجا عجزت تكنلوجيا العالم عن توفيره بمصانعها وكمبيوتراتها فهو كما وصفه الحق سبحانه شراب مختلف ألوانه فمنه العسل الذي عجزت مختبرات العالم عن تحليله بالكامل ومنه غذاء الملكات والعكبر والشمع والبربوليس (مادة للتحنيط) وسم يُستخدم حالياً لعلاج الأمراض التي عجز الطب عن مداواتها ويبلغ سعر الجرام الواحد منه فقط 1500 دولار وكل هذا الخير يخرج من نحلة لا يتجاوز طولها 2 سنتمتر.

والعسل منشط وفاتح للشهية وعلاج لمدمن الخمر لما فيه من سكر الفراكتوز الذي يساعد على أكسدة الكحول في الكبد وعلاج لمرض الكبد إذ يساعد على ازالة السموم كما يستخدم لعلاج الحروق والتشققات ومنعم للبشرة ويحميها من التشققات، أما عسل الملكات فيستخدم في علاج أمراض سوء التغذية والضعف العام أو أمراض الشيخوخة وتنشيط الدورة الدموية.

مجتمع النحل أصيل متكافل مترابط لا يطيق أن يبتعد عن بعضه البعض والجميع يخدم الجميع ويحبه ويخلص له، فإن أردت أيها الإنسان اختيار صاحبا فاتبع نصيحتي واستفد من تجربتي ولا تصحب إلا الأصيل.

تضع الملكة ألوفا من البيض في عيون سداسية من خلايا شمعية يصل عددها إلى 6600 عينا تكونها الشغالات ثم تخرج من البيض يرقانات صغيرة تعتنى بها الشغالات وتطعمها حتى تكبر.

أرأيت ما يعنيه خلو المجتمعات من أعداء قيم الثقة.

<u>النمل</u>

نحن أمام أكثر جماعات الكون تنظيما وحسن إدارة إنهم مملكة على رأسها ملكة واحدة فقط قد تعيش 15 عاما تنتج خلالها ذرية تفوق كل عدد بني البشر على سطح الكرة الأرضية ورعيتها آلاف النمل المتحد المنظم يعيش في قرى تحت الأرض أو داخل ألحية الشجر في أعداد مابين 10 آلاف إلى مئات الالاف كأنه جند منضبط مدرب في دول التاريخ العظمى، وهو مجتمع متعلم يعرف الكثير عن أسرار الكون ربما أكثر مما نعلم نحن فقد علم أن حبة الكسبر كاملة وحتى نصفها ينبت فقسمها إلى أربعة أجزاء وخزنها وإذا خاف على حبات القمح من الرطوبة أخرجها من مخازنه وقت الشمس لتجف، مجتمع أمة تعمل في الصيف ليل نهار تجمع الحب وتخزنه للشتاء الذي تنام طوال فصله.

أعجب العجائب في هذا المجتمع هو الاخلاص وحب الواحد منهم للأخر والتفاني في خدمته وإيثاره عن النفس والذات وأين خائنو العيش والملح ناكثو العهود قاطعو ما أمر الله به أن يوصل ليتعلموا من هذه المخلوقات الصغيرة.

تصور بلغ بها انتماؤها وإخلاصها لبعضها أن للنملة معدة اجتماعية تخزن فيها الطعام وتخرجه إذا احتاج إليه باقى النمل أما إن لم تكن لهم به حاجة فتنقله إلى معدتها الحقيقية بواسطة مضخة للهضم مع أنها تأكل فقط ثلاث حبات قمح في السنة وتعتبر في الوقت نفسه المخلوق الوحيد الذي يستطيع حمل أكثر من وزنه.

لكل ذا نهى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن حرق النمل لأنه أمة تسبح الله وتعلم البشر.

النمل مخلوق متعدد الأنواع ينتشر في أنحاء المعمورة ويعرف منه 6000 نوع، وعندما يفقس بيضه تخرج اليرقانات عديمة الأرجل فتعتنى بها الملكة وتغذيها بلعابها بينما تقوم العاملات بحفر حجرات أكبر وأنفاقاً وتتولى جمع الطعام والاهتمام براحة الملكة وقد تمر أعوام قبل أن يكتمل نمو قرية النمل.

ودعني أعرفك أكثر بهذه الملكة التي يتفانى مجتمع النمل في خدمتها وعقليتها وأسلوب حكمها لرعيتها وعنايتها بهم على ضوء ما جاء في القرآن الكريم.

{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ - النمل 18}

قالت نملة بالمؤنث وهو إعجاز قرآني حيث القيادة في هذا المجتمع لملكة أنثى ادخلوا مساكنكم ،،، مساكنكم فقط لا تعتدوا أو تفسدوا بيوت غيركم مهما كانت الأسباب ملحة كي لا تموتوا بالتحطيم (أي بالتكسير) تحت أقدام النبي سليمان وجنوده ولكن تقولها بأدب فتقدم سليمان على جيشه احتراما وتقديرا ثم تعطي لهم العذر: (**وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**).

نحن أمام ملكة عظيمة ورعية محبة مطيعة متماسكة الأواصر خالية من المفتنيين والمفسدين نحن أمام المجتمع المثالي.

لا يُفتى ومالك في المدينة

ميدان الغزالة بوسط طرابلس عند الساعة الثانية ظهرا والموظفون والطلاب في طريقهم إلى منازلهم والسيارات المزدحمة بالمئات وأربعة من رجال شرطة المرور ينظمون حركة السير بلوائح سير صحيحة وقانونية فعلا ولكنها من أربع دول مختلفة؛ هذا يوجب القيادة على شمال الطريق وذلك على يمينها، وهذا يمنع مرور السيارات الصغيرة وذاك يسمح بها، ترى ما الذي يحدث؟

سقت هذا المثل وأنا أتأمل بإعجاب ما روته كتب التاريخ من انفراد عطاء ابن أبي رباح ومجاهد بالفتوى في مكة المكرمة حيث يصيح منادي الخليفة ألا يفتي الناس إلا أحدهما.
نعم إن اختلاف الآراء الفقهية وتعددها في أخطر موضوع يمس حياة الإنسان على الإطلاق وهو الدين ظاهرة مخيفة العواقب مرعبة الآثار، خصوصا في وقت صارت الفتاوى المتباينة باختلاف المذاهب الإسلامية من سنة: حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية، وشيعية: اثني عشرية امامية وزيدية وبهرية وسواهم من مذاهب الإسلام، ناهيك بالفرق المارقة الضالة المحسوبة على الإسلام وهو منها براء كالقاديانية والبهائية كلها تبث دروسها وفتاويها عبر برامج عشرات القنوات كل يوم و ساعة.
وتأثر الشارع الليبي والأسرة والمسجد والمدرسة بهذا التعدد والاختلاف فصرنا نشاهد الصلاة في المسجد يصليها كل واحد بهيأة وصفة، ولكل مسجد أذانه ومواقيته، ولكل خطيب جمعة مذهبه، وما عدنا نفرق بين الزكاة والصدقة والحج والعمرة، و انفرط عقد الزوجية وحرمها المقدس بفتاوى دخلت بين الزوجين في فراشهما تبيح وتحرم، وكفر البعض بعضا بسبب ساعات بث مطولة عن اللحية وتشمير السروال والسواك، والله تنزه وتقدس في السماء أم في الأرض، وجالس على العرش بذاته أم بسلطانه، وعدد ركعات التراويح، وعجزنا عن رأب الصدع في وقت تزداد فيه هوة الخلاف والاختلاف كل يوم.
قبل أن ألج إلى ما أريد - واحسب انك سيدي القارئ الكريم قد عرفته - أحب أن أصحبك إلى مدينة حقيقة ربما تكون رأيتها او حتى سكنتها، أما أنا فأعرفها حيا حيا ومواطنا مواطنا، انها مدينة نفترض ان عدد سكانها يقدر بنحو 1000 نسمة، رفضوا كل قياسات المهندسين وخرائطهم وبنى كل واحد منهم منزلا حسب رغبته بأي صفة وحيثما شاء، ثم ضربوا عرض الحائط بأدوية الأطباء ومستشفياتهم وعياداتهم وصار كل واحد منهم يأخذ من الصيدليات العقاقير والدواء الذي يريد ويجري العمليات الجراحية لمن يشتكي، بل سنّ كل

منهم لنفسه قانونا خاصا به، فهذا يبيح السرقة وذاك يجرمها وذاك يجيز قطع الطريق وهذا يمنعه، ليس هذا فقط، بل تحول كل واحد منهم إلى مُعلم له مدرسته الخاص به ومناهجه التعليمية وصار يمنح الشهادات والمؤهلات لمن أراد .... وقس على ذلك سائر الحرف و الصناعات و المهن.

ولنفترض أن الظروف ساقتك إلى هذه المدينة، فما الحكم الذي ستطلقه عليها؟.

إنك في أحسن الأحوال ستقول عنها بلا شك: إنها مستشفى مجانين على الهواء مباشرة .

أما سكان هذه المدينة فإنهم لا محالة سيهلكون أنفسهم وستقع بيوتهم على رؤوسهم باسم الهندسة والمعمار وستزهق أنفسهم باسم الطب ويهلك بعضهم بعضا باسم التعليم وسينقلب عليهم كل ما يعملون من صناعة وزراعة لأنهم تجاهلوا سنة الله في الكون التي توجب علينا الائتلاف والوحدة وتنبذ الاختلاف و الفرقة.

وقبل أن تسألني عن موقع هذه المدينة على الخريطة وحدودها و جنسيتها فإنني أحب أن أقول لك أن هذه المدينة الخربة المنهارة موجود في كل دولة مسلمة لا تحترم أهل العلم ومذاهبهم.

إن أحكام الإسلام ليست من اليسر فهمها بل هي واسعة شاملة تتسع لكل ما يتعلق بشؤون الحياة الخاصة والعامة في مختلف الظروف والأحوال، وهي جميعها تعود إلى الكتاب والسنة إما بدلالة ظاهرة مباشرة أو بواسطة النظر والاجتهاد والاستنباط، قال تعالى: {**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا** - النساء 93}

ولحكمة أرادها الحكيم الخبير كتب سبحانه على خلقه أن يتفاوتوا في الملكات والمواهب وتحصيل العلوم ونيل المعارف والدراية بأحكام الشريعة الغراء فكان من الضروري ان يسأل العالم الأعلم، ويقتدي الجاهل بالعارف ليتوحد الجميع في مرضاة الله تعالى وهو الأمر الذي وجه الله سبحانه أنظار خلقه إليه ليغنموا الراحة و الطمأنينة و السلامة و النجاة، فقال: {**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** - النحل 43}

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم و آله معاذا إلى اليمن سأله: كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟

قال : أقضي بما في كتاب الله.

قال : فإن لم يكن في كتاب الله؟

قال : فبسنة رسول الله.

قال : فان لم يكن في سنة رسول الله؟
قال : اجتهد رأيي و لا آلو.
فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله صدره بيده الشريفة ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله - رواه الترمذي و ابو داود.
وهذا الحديث الشريف هو محور مذاهب الإسلام والعمل بها، فالمجتهدون الأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وسواهم من أمثالهم رضوان الله عليهم هم قوم علموا القران والسنة ثم اجتهدوا فدونوا وحرروا وانعقد إجماع الأمة على جواز تقليدهم فيما ذهبوا إليه وإجماع الأمة معصوم من الزلل، قال صلى الله عليه وآله وسلم: {إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة - رواه الترمذي}.
ومن هنا نشا الفقه الإسلامي العظيم الذي انقسم إلى مدرستين هما مدرسة الرأي وتركزت في العراق ومدرسة الحديث الشريف وتركزت في الحجاز، ولكل منهما رجالها وقواعدها ومميزاتها، وكل قواعد هؤلاء الأئمة مقتبسة عن نور الشريعة الساطع مؤيدة بالقرآن الكريم والسنة الغراء، كيف والله سبحانه يقول في محكم آياته مجليا لحقيقة عظيمة مفادها أن نفرا فقط من دون المؤمنين هم من كلفوا بالاجتهاد في طلب العلم وتحصيله وعلى إخوانهم ممن لم تسعفهم ظروفهم ولم تتوفر عندهم ملكة العلم أن يسمعوا لهم ويأخذوا عنهم: {**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** - التوبة 122}.
لقد حفظ الله الدين بأئمة مجتهدين مجمع على علمهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية القصوى في مرتبة العلم بالإحكام والفتوى من أهل الرأي والحديث أسسوا مذاهب مباركة غراء، وكل مسائل الأحكام وفتاوى الحلال و الحرام لو لم تضبط بأقوال هؤلاء الأئمة الكرام لأدى ذلك إلى فساد الدين، ثم ضبط العلماء الذين أتوا بعدهم مذاهبهم وحررت قواعدها أصولا وفروعا ولولا ذلك لعاش المسلون كارثة كبرى متمثلة في تفصيل كل واحد منهم للشريعة على مقاسه وحسب حاجاته وأهوائه وضاع الحرام والحلال.
لقد احكم أئمة المذاهب رضوان الله عليهم أحكام الفقه التي هي قاسم مشترك بينهم لا خلاف فيها لأنهم متفقون عليها وإن بقي مدار البحث حول ما اختلفت اجتهاداتهم فيه.
ولكن للأسف ظهرت عدة دعاوى في عصرنا الحديث تدعونا للخروج عن هذا الحصن الحصين الذي طالما حمى الأمة من الزوابع والأعاصير ونبذ هذه السمة الحضارية التي ينفرد بها المسلمون عن كل الملل والنحل السابقة واللاحقة تحت عنوان مريب يقول: إسلام

بلا مذاهب، وسمعنا بكل أسف من يقول:
لماذا العمل بهذه المذاهب وباستطاعتنا أن نأخذ الفقه عن القران و السنة مباشرة؟
ومعترض يكتب: كيف ينحصر الاجتهاد في أئمة متعينين ويمنع باب الاجتهاد عن غيرهم؟
ومنكر يصيح بأعلى صوته: كيف نمنع من تقليد غير أولئك؟
ولاقت هذه الدعاوى قبولا واستحسانا عند البعض، وعبثا ذهبت محاولات المخلصين ردهم عن هذا الخطأ الشنيع، وزاد بلة الطين احتضان الجماعات المتطرفة لهذه الأقوال واعتمادها والدعوة لها، خصوصا ما بين 1970م - 1995م حيث انفردوا بجل الساحة الإسلامية تقريبا عبر سيطرتهم على وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية مدعومين من دولة السعودية المتخمة بالبترو دولار وهي تدفع ثمن ذلك التصرف الطائش الأرعن اليوم من اقتصادها واستقرارها ودماء مواطنيها وسمعتها في المحافل الدولية حتى جعل بعض كبارهم هذه المذاهب كالنصرانية ومن ذلك ما علق به الألباني على حديث نزول سيدنا عيسى عليه السلام على مختصر المنذري لمسلم حيث كتب: هذا صريح في أن عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا ويقضي بالكتاب و السنة لا بغيرهما من الإنجيل أو الفقه الحنفي أو نحوه. أهـ .

<u>ولكل هؤلاء أقول:</u> لولا تقييد الأئمة لمذاهبهم لما اهتدينا إلى أحكام القواعد الخمس التي بني عليها الإسلام بما حوته من أقسام وحكمها وشروطها وفرائضها وسننها ومندوباتها ومكروهاتها ونواقضها وموجباتها ...... إلخ، ودونكم تدارسوا ما عندكم واستخرجوا هذه العلوم منها وأتوا لنا بما لم يأتوا به، ثم إنكم تجدون في القران الكريم كيفية صلاة الخوف ولكنكم لن تجدوا صلاة الاستسقاء مثلا أو صلاة الجنازة فبينوا لنا أحكامها، كذلك تحضرني بعض الأسئلة وأرغب من حضراتكم الإجابة عليها من دون الرجوع إلى اجتهادات العلماء واستنباطاتهم:

- فماذا تقولون في شخص حلف أن يأكل طعاما ففسد؟
- وان صلى الإمام الراتب وحده هل يعيد إن حضرته جماعة؟
- وهل يجوز لنا الانتفاع برماد الميتة؟ ولبن أكلة النجاسة؟ وبيضها؟ ولحمها؟
- وماذا تقولون في عرق السكران ولبن المرأة المخمورة أهما طاهران أم نجسان؟
- وهل يصح لنا الانتفاع بالبقول التي تسقى بماء نجس؟
- وان طلقت امرأة لجنون زوجها أو إصابته بجذام ثم برئ في العدة هل ترجع له أم تمضي طلاقها وترجع بعقد جديد ان أرادت؟

- ومن تحرى صلاة الإمام في العيد وذبحه ثم تبين له خطأ هل يجزيه ذبحه أم يعيد؟
- ومن حلف لا يدخل دارا وهو فيها ولا يركب سيارة وهو يقودها ولا يلبس ثوبا وهو لابسه، أو قال لزوجته إن حملت فأنت طالق وهي حامل أهو حانث في يمينه أم بار فيها مطلق لزوجته أم باق عليها؟
- وهل يجوز بقر بطن امرأة رجاء الولد في بطنها أو طلبا لجوهرة ثمينة كانت ابتلعتها؟
- وهل يجوز للمضطر أكل ميتة الآدمي؟
- ثم ماذا تقول لامرأة وكلت وكيلين فزوجها كل واحد منهما لرجل مختلف؟
- وهل يصح للابن أن يزوج أمه؟
- وما حكمكم على من أبدل أربعين شاة بثلاثة نياق فرارا من الزكاة؟
- ومن ارتحل عن بلدة وجبت عليه فيها دية قبل فرضها عليه فرارا منها؟
- وما تقولون في امرأة ارتدت عن الإسلام بنية فسخ زواجها لكراهتها لزوجها هل تعود إن أسلمت مجددا أم يعقد عليها من جديد إن رغبت؟
- وهل يصح لشخص أن يبيع شجرة ويستثني ثمرها أو بعضه كعرجون من نخلة مثلا؟
- وهل يجبر محتكر السلعة على بيعها؟
- وهل يجوز بيع الماء للعطشان مثلا؟
- وهل يجبر صاحب عنز ثمنها مائة دينار ابتلعت محفظة بها ألف دينار على بيعها لصاحب المحفظة ليذبحها ويستخرجها من بطنها؟
- وما قولكم فيمن باع ما ليس ملكه وصاحب الملك الأصلي ساكت لا ينكر عليه، هل يصح البيع أم باطل؟
- وما رأيكم فيمن يرى حمل زوجته فلا ينكر ثم ينفيه بعد أن يولد هل يُحد أم يلاعن؟
- وما حكمكم فيمن أرغم على إعطاء زكاته لجهة وهو غير راض هل يعيد إخراجها أم تسقط عنه؟
- وما حكمكم في الزرع يغرم مهلكه قيمته ثم ينبت الزرع من جديد؟ والسن يغرمها كاسرها ثم تنبت مرة أخرى؟ و السيارة يضيعها شخص فيغرمها ثم توجد بعد ذلك؟

إنكم لن تجدوا أيها المكابرون المعاندون إلا إن ترجعوا إلى ما استنبطه المجتهدون من القران والسنة أو ستدلون بآرائكم الخاصة وعندها سنراكم ابتدعتم مذاهب جديدة خاصة بكم.

أيها المكابرون المعاندون دعوا الأحكام المستقرة التي دونها صفوة المسلمين وتقبلها المسلمون جيلا بعد جيل عن كيدكم بمعزل فإن من قال بترك المذاهب يدعونا بكل لا منطقية إلى تقليد فهمه هو لهذه المسألة في الدين أو تلك، أي أننا سنستبدل الفقه الموثوق بفقهه المظنون، وبمعنى آخر نتحول من تقليد مالك و إخوانه من أئمة المذاهب إلى تقليد زيد ممن لا نعرف أو عبيد، ثم ما هو المبرر لهدم بناء فقهي عظيم شيد بأيدي أئمة مجتهدين مخلصين أجمعت عليه الأمة طوال عمرها ثم فتح باب الاجتهاد لغيرهم.

عندنا اليوم بحمد الله تعالى فقه متكامل دونه الأئمة ووثقه تحريرا وتمحيصا أصحابهم العلماء ومن جاء بعدهم، فإذا ما تركنا هذه المادة العلمية الجاهزة لاجتهادات حديثة لم نعلم بعدها ما هي ولا عواقبها كنا كمن يستبدل الشك باليقين والسراب بالماء القراح البارد.

هذا على العموم، أما عندنا في ليبيا فإنني أرى من واجبي أن أنبه إلى خطر الفرقة و التشتت وانتشار أفكار التطرف في مجتمعنا وأقول إن من أهم السبل لدرء ذلك جمع الناس على مذهب واحد هو مذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم متنبأ منوها: {يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة - رواه الترمذي وأحمد وابن عبد البر والتبريزي وابن حبان والحاكم والبيهقي والمنذري}.

وعلينا التعجيل بذلك وإلا وقعنا في المحظور الذي سبقتنا اليه دولة شقيقه تغافلت عن خطر تعدد مصادر الفتوى واختلاف المذاهب حتى فجعت بتفجيرات الدار البيضاء، وإذ بها عقب ذلك بشهر تصدر قرارا عن مجلس الوزراء بحضر الفتوى بما عدا المذهب المالكي.

وقد أكرم الله سبحانه وتعالى ليبيا بمنن عظيمة جسيمة فجل سكانها متوحدوا العرق ولنا أن نقارن ذلك بدولة مثل العراق بها 11 عرقا مختلفا، وليبيا بلد غالبه واحد الطائفة ولنا أن نقارن ذلك بدولة مثل لبنان بها سبع عشرة طائفة دينية لهم 17 قانون أحوال شخصية في محاكمهم وما الحرب الأهلية التي نشأت بها لقرابة عشرين عاما بسبب خلاف طوائفها منا ببعيد، وليبيا بلد خالية من الطبقات وكلنا نأكل من قصعة واحدة ونشرب من قدح واحد متآلفين يخجل الرجل الأصيل منا أن يشار له بأنه الأغنى أو الأهم أو الأكثر نفوذا أو الأعلى رتبة أو منصبا، ولنا ان نقارن هذه المنحة السنية بدولة مثل مصر بها ألقاب صارمة مثل باشا وبيه وأفندي والثري والفلاح وابن البندر والمعلم والصبي ومن يسكن منزلا قيمته 22 مليون جنيه ومن يسكن عشه من قش، وليبيا بلد واحد اللغة وأين هذه النعمة من بلد مثل السودان لا يفهم ابن جنوبه ما يقوله ابن شماله وهاهي الحرب الضروس بكل أسف لا تزال

بينهم ناشبة لمدة تزيد عن العشرين عاما سقط خلالها مليونا قتيل من الطرفين وأهدر من الأموال ما كان يقفز بالسودان إلى مصاف الدول العربية الغنية.

وليبيا بلد واحدة الثقافة والعادات والقيم وعلينا أن نزيد هذا النسيج النفيس القويم تماسكا بتأكيد وحدة المذهب .

ولا يقولن لي أحد أني أضيق واسعا وأقفل باب التعدد في اجتهادات العبادات أو أنني انتقص من قدر المذاهب الأخرى فهذا والله افتراء عظيم ويعلم الله وحده المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، إنني أتيقن من نفسي أنني لا ارتقي لمستوى أن يطأ خدي نعل احد أئمتهم فضلا عن أن أفاضل بينهم أو أتعصب لأحدهم دون الآخر، وأين الذرة من المجرة؟ ولكنني أخاف التشتت والفرقة وأراهما عدوا خطيرا مهلكا واضع نصب عيني حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة - رواه الترمذي وابن ماجة}.

ويجب أن نتحمل مسؤوليتنا كاملة ونسعى في كل ما يوحد مجتمعنا ويجمعه على الخير ونبعد عنه كل أسباب الخلاف والاختلاف والفرقة والتشتت والتشرذم ولنا في صنيع الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان القدوة الطيبة حيث جمع الصحابة في صدر الإسلام على مصحف واحد الذي عرف بمصحف عثمان وأمر بحرق كل ما عداه من مصاحف

بأيدي من؟

بأيدي صحابة كرام.

وأخذوها عن من؟

أخذوها عن فم رسول الله صلى الله عليه وسلم واله الشريف وعن نطقه الكريم.

وأين ذا من ذا؟

<u>لكل ذلك فإنني قلت وأقول وسأبقى أقول لا مذهب عن المذهب.</u>

ثم يجب ألا ننسى أنه علينا معشر الليبيين مسؤولية تاريخية تجاه مذهب الإمام مالك إذ نحن من أدخلناه إلى كل المغرب العربي تونس الجزائر والمغرب وموريتانيا ثم أواسط وغرب إفريقيا على يد الفقيه الليبي على بن زياد الطرابلسي (ت 183هـ) التلميذ المباشر للإمام مالك مؤسس المذهب المالكي، ومن أوائل من رووا عنه الموطأ وله نسخه عن الموطأ دونها بخطه وعلق عليها بشروحات وأحضرها معه وأدخلها المغرب العربي ولا يزال قدر مائة صفحة من هذه النسخة العتيقة التي ينيف عمرها عن 13 قرنا موجودا بحمد الله وتعد أقدم كتاب معروف إلفه مسلم على الإطلاق.

وكذلك عندما أسست أقدم مدرسه للفقه المالكي أسسها الصوفي عبد الحميد بن أبي الدنيا تـ684هـ في طرابلس التي يقول عنها المستشرق روبار برنشفيك: إنها أقدم مدرسة مالكية في شمال أفريقيا، كذلك فإن كل علماءنا و أعلام ثقافتنا ورموز تاريخنا هم مالكيون منهم على سبيل المثال لا الحصر:

مجتهد المذهب المالكي الشيخ أحمد زروق، والشيخ عبد الواحد الدوكالي، والشيخ عبد السلام الأسمر والشيخ حلولو الوامح، والشيخ أحمد بن جابر النايلي، وكل أسرة الحطاب ذات الأثر البليغ في الفقه المالكي، والشيخ محمد الخروبي والشيخ خليفة بوغرارة والشيخ سالم المشاط، وشيخ المجاهدين عمر المختار، والشيخ على الطشاني، والشيخ علي بن المنمر، والشيخ كريم الدين البرموني، والشيخ الاجدابي، .....و.....و.... ، وسواهم المئات ممن حفظت مآثرهم كتب التاريخ والتراجم، اذ لم يستطع أي مذهب قط مزاحمة المذهب المالكي في بلادنا طوال تاريخها الإسلامي المشرف، ولا يجدر بنا تجاوز هذا الالتزام العميق الطويل الضارب جذوره بحال.

وكل زوايانا لم تدرس سوى الفقه المالكي طوال عمرها الذي يمتد لقرون موغلة في التاريخ كزاوية أولاد سنان، وزاوية سهيل، والبازة، والشيخ الزروق، والمحجوب، والكفرة، ومزده، وطبقه، وسبها، والبيضاء، والسبعة، والجعراني، ومرزق، والعالم، والكميشي، و بوماضي، و البياضة، والابشات، وعشرات غيرها .. ومساجدنا كذلك في سبها و بنغازي وكل مدننا، ومن من لا يقف احتراما وتعظيما عند معاقل الفقه المالكي العتيدة مثل جامع أحمد باشا وجامع الناقة وجامع مولاي محمد وجامع ميزران وغيرها وغيرها ......

فالمذهب المالكي هو وطننا وآباؤنا وأجدادنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا وأعمامنا وعماتنا وهو المذهب الذي استقر في ليبيا طوال عمرها وبه اليوم العمل وهو الذي يُدرَّس الآن في الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية في زليتن وسواها في الجامعات و الكليات ذات العلاقة وهو الذي يُدرَّس في المنارات الشرعية وهو الذي يفتي به علماء البلاد المعتبرون، ولكن المشكلة في طوائف خلت من علم الأمس وحياة اليوم وأمل الغد لأنهم لا يعون حجم المسؤولية ولا يمتد بصرهم لأبعد من أنوفهم ممن تسلقوا سياج هذا الحرم المقدس الآمن وصاروا يفسدون علينا نعيم هذه الوحدة الربانية الطاهرة و طمأنينة هذه الألفة الإيمانية الزاهرة نسأل الله سبحانه لهم الهداية ولهم جميعا **أقول:** اتقوا الله في هذه البلاد.

من أين أجبت؟

طوبى لمن خاف أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت؟ ،،،

لا أدرى لماذا يُسلم الناس للطبيب أجسادهم إذا ما أصابهم المرض، وللمهندس منازلهم إذا ما أرادوا البناء والسكنى، وللمحامي مصائرهم إذا ما تخاصموا حتى إذا تعلق الأمر بأهم ما في حياتهم وهو دينهم تطاولوا جميعا للاعتداء على حرم الشرع الشريف بالفتوى على جهل.

نعم نحن في القرن الواحد والعشرين حيث نعيش عصرا متقدما مليئا بالإنجازات المادية من تكنولوجيا الأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت والطائرات، ولكننا ما لم نخضع هذه الطفرة المادية لقيم ديننا الكريم وأصالته العظمى ومثله العليا فإننا لا شك سنتأخر مئات الخطى مقابل كل خطوة إلى الأمام.

وليس يعيبنا أبدا أن نراجع أنفسنا ونصلح فسادنا ونكمل نقصنا طلبا للكمال والزيادة، وصدق من قال: {من لم يكن في زيادة فهو في نقصان}.

ومن هذه الأوجه التي صرنا نعاني منها حتى عمت بها البلية تجرؤ كل من درج ودب على الفتوى الشرعية بلا رادع أو قيد، وجر هذا من الويلات ما لا يعلم به إلا الله سبحانه، ادخل إلى أي تجمع عندنا: عقد قرآن أو واجب عزاء أو تهنئة بقادم أو مباركة بمولود وغيرها من مناسباتنا الاجتماعية، وسترى الجميع يفتي بما يهاب الفتوى فيه سادتنا الأئمة مالك والشافعي وأبو حنيفة وابن حنبل مجتمعين، والكل يدلي برأيه في أدق مسائل الفقه وأخطرها بلا معرفة بكتاب الله الكريم وحديث رسوله العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، وما دونه سادتنا العلماء والفقهاء، والجميع إما يتحدث من رأسه واجتهاده، أو سمعه من هذه القناة الفضائية أو تلك في أحسن الأحوال.

وليت الأمر اقتصر على ذلك بل تجاوزه إلى مصائب وكوارث جرتها فتاوى بعض الشباب ممن ظنوا أن أقصر طريق إلى الجنة هي لحية مشنتة منفرة لا تمت لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصلة وسراويل مشمرة ورؤوس حليقة وتكفير للمسلمين وزرع للفتة في مجتمعاتهم، والبحث عن مسائل الخلاف والاختلاف ليشذوا عن الآخرين فتعادى الشقيقان وتنافر الولد ووالده واستدبر الشاب أمه، فأفتى بأن والده كافر لأنه يحلق لحيته، ووالدته كافرة لأنها لا تغطى وجهها بخمار، وأخوه ضال لأنه مريد في زاوية صوفية، وجاره وثني جاهلي لأنه يزور أولياء الله الصالحين، وإمام المسجد لا تجوز الصلاة خلفه لأنه يدعو عقب الصلاة.

لكل ذلك لم يكن غريبا قط أن نعايش كل هذه الآلام الناتجة عن الفتوى الصادرة عمن لا يعرفون من العلم إلا شريطا أو كتيبا لفلان أو علان لا تتجاوز صفحاته المائة وما ينتظره مجتمعنا من نتائج وآثار الفتوى عن جهل أكبر وأخطر مما سيطل برأسه علينا فجأة ليزرع الحزن والدمار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الإمام الشافعي: إني شاهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنين وثلاثين منها: لا أدري.ا.هـ.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما منهم من أحد يُسأل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك.ا.هـ.

وحقيقة الفتوى هي عكس ما يظنه جل الناس بما فيهم هؤلاء الذين أشرنا إليهم هداهم الله، إذ هي نقل لا مجال فيه للزيادة والنقصان.

نعم أخي لا تندهش إذا ما سمعت مني ذلك فإننا كلنا معشر من ينتسب إلى العلم لا نعطي الفتوى بل ننقلها عن أسلافنا الطيبين من علماء الأمة المعتبرين المعتمدين، فهم رضوان الله عليهم دونوا العلم ووثقوه وحفظوه وما من مذهب إلا وحوت كتب فقهه إجابة كل مستفت ورد كل سائل، ومن ذلك المذهب المالكي الذي نتشرف بالانتساب إليه ومن النادر جدا أن نحتاج إلى الاجتهاد فقد دون سادتنا كل سؤال وجوابه حتى الصلاة على القمر رغم أنهم ما أدركوا سفن الفضاء والمكوكيات الفضائية، بينوها وحددوا قبلتها، حتى الحمل الذي يحدث ولم ير الزوج زوجته قط كأن يعقد عليها بالوكالة وهو في النرويج وهي في غات بيَّن سادتنا العلماء أبواب مشروعيته وكيفيتها قبل أن تظهر الطفلة (لويز) كأول طفلة أنابيب على شاشات التلفزيون وقبل أن نحدق مشدوهين في النعجة (دوللي) رائدة المستنسخات الحية المعلنة.

والمسائل التي اجتهد فيها العلماء المعاصرون ـ جزاهم الله خيرا ـ إذا حذفنا ما قاسوه على أحكام وفتاوى من سبقهم من العلماء وقواعدهم لن تصل بحال من الأحوال إلى العشرين مسألة حتى اليوم.

ونعود إلى موضوعنا فأقول: لقد كان أهلنا وآباؤنا وأجدادنا يعرفون خطورة الفتوى ومسؤوليتها فكانوا يرسلون في طلبها إذا لم تتوفر بين أيديهم، وكثيرا ما وجدنا مخطوطات ورسائل متبادلة ما بين مدننا وقرانا من فزان إلى طرابلس إلى برقة إلى عالم بعينه إذ لم

تكن الفتوى تؤخذ إلا من أهلها ممن عُرفوا بسعة الثقافة والورع والتقوى والإطلاع على مصادر العلم الشريف.

أما أولئك المتسرعون على الفتوى القائلون فيها بجهل فما أشبههم بمن قال ابن حصين رحمه الله فيهم: إن أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر.ا.هـ.

وللفتوى آداب وقواعد وضوابط عرَّفها السادة العلماء، وما أحرى كل مجترئ على العلم الشريف بالإطلاع عليها والالتزام بها، وحلية الفتوى وجمالها وكمالها في كلمة (لا أدري) ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري - رواه أبو داود وابن ماجة}.

ومن أهم قواعد الفتوى تصور المسألة حتى قال سادتنا العلماء: الحكم على الشيء فرع من تصوره.ا.هـ.

ومعنى هذا أن المفتي ما لم يتصور المسألة فسيبقى عاجزا عن الإفتاء ولو حفظ كل كتب الفقه والفتوى.

وكل عالم يعرف حقيقة العلم وعظم أمانته يعلم أنه إذا أفتى بغير الحق تبوأ مقعده من النار وضل وأضل، ناهيك والفتوى لا تموت ويتناقلها الناس ويتداولونها ويعملون بها مما يوسع دائرة التأثير بها حتى قيل زلة العالِم زلة العالَم.

كنت في أمارة دبي بدولة الإمارات العربية وكان الوقت شهر رمضان المبارك، ودُعيت لإلقاء محاضرة في جمعية نسائية تدعى (جمعية سنابل بلادي) أقلتني السيارة إلى موقع الجمعية لأجد نفسي أمام قصر صغير جميل واسع الأرجاء حسن العمارة متناسق الألوان تحيط به حديقة خضراء غناء واستقبلتني مديرة الجمعية وبعض السيدات مرحبات، لألج صحبتهن فأجد خيمة جميلة قد نُصبت في الحديقة ورصت بها موائد الحلويات والأطايب وأنواع المشروبات والشاي والقهوة، بقيت بها قليلا مجاملا بالتقاط بعض تلك الأطعمة فأنا لا أذكر أنني مذ وعيت اشتهيت الحلويات والسكريات بأنواعها، ثم قدمت مجموعة من السيدات تتقدمهن إحدى المسؤولات بالجمعية وأخذنني في جولة في المبنى، لشد ما أعجبني نظامهن ونشاطهن إذ كانت هناك قاعات خاصة بأطفال منتسبات الجمعية مملوءة بالألعاب والمراجيح والدمى بأحجام مختلفة تناسب كل الأعمار، ومكتبة وإدارة منظمة وردهات مختلفة السعة لتستوعب أنشطة المرأة الثقافية والاجتماعية وغيرها.

وتبادلت معهن الحديث فوجدت اطلاعا على أمور الدين وثقافة إسلامية رفيعة وناقشن معي

صلاة المرأة في جماعة، وقلن إنهن يرغبن أن يصلين في جمعيتهن جماعة لولا أن المذهب المالكي وجلهن من أهله لا يبيح ذلك، فقلت لهن ليس على الإطلاق وإن لي فتوى في هذا الموضوع دونتها في كتاب (مجالس الفقراء) ، فسألنني إن كانت منه نسخ في دبي فأجبتهن بالإيجاب وحرصن عليها، وبالفعل أهديتهن فيما بعد نسخة منه.

على كل حال وصل بنا الأمر أخيرا إلى قاعة المحاضرات وجلست في المكان المُعد، وجلست السيدات وكنَّ من مختلف الأسنان والثقافات، فمنهن الشيعية والسنية والمحجبة والمتبرجة والأم والزوجة والجدة مع حفيدتها والوالدة مع ابنتها، وألقيت المحاضرة التي كانت عن الحديث الشريف باذلا ما استطعت من جهد لإثراء الموضوع وإعطائه حقه وتغطية جوانبه، وأتممت ليُفتح باب السؤال، فكانت أول السائلات سيدة في العقد الخامس من عمرها يتضح من لسانها أنها مصرية لتقول لي بعد الشكر على المحاضرة: أنها من مرتادات الزار وأنها تجد فيه شفاء وراحة كما أن العديد من معارفها يترددن عليه وأنها تريد أن تعرف رأي الشرع في ذلك؟!

وحيث أني لم أسمع في حياتي لفظ (الزار) حتى وقتها ولا أعرفه فقد شرعت في الإجابة عن فوائد زيارة الأولياء والصالحين أحياء ومنتقلين ظانا أن ذلك هو المقصود، ولكنني فوجئت بالسيدة تقول: أنها تقصد الزار لا زيارة الأولياء.

وبعد الشرح والتبيان اتضح أنها تسأل عن موضوع لا أعرفه ولم يسبق أن سمعت به فاعتذرت للسيدة عن الإجابة وأخبرتها أنني لا أعرف الزار ولا يوجد عندنا في ليبيا شيء بهذا الاسم ولم أسئل عنه قبل اليوم.

لقد كنت في غاية الإحراج وأنا أقول ذلك فحق السائل أن يجاب، ولكن بماذا أجيب؟.

وتوالت أسئلة السيدات بعد ذلك عن مواضيع مختلفة وانفض المجلس لأقضي أياما أسأل عن الزار بعض أصدقائنا من علماء تلك البلاد وفوجئت بأن جلهم لا يعرفه، وغاية ما حصلت عليه أن الزار طقس خاص بمصر ولا يوجد خارجها.

ثم جمعتني الظروف في مؤتمر عن الفقه المالكي في احدي الدول العربية كنت مشاركا فيه بالشيخ د. أحمد علي ريان رئيس قسم الفقه والقانون بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر وكنا في حجرة صغيرة مع مذيع من إذاعة أبو ظبي نستعد للتسجيل فسألته مباشرة عن الزار ما هو وما حكم الشرع فيه؟

فوصف لي طقوسا وأقوالا وأفعالا ثم أفتى بحرمته.

وسألت غيره فأباحه !!

وأنا إلى اليوم لا أعرف الزار ولا أعرف حكم الشرع فيه رغم أنني سألت العديد، فمن يذكره منهم مادحا فوائده ومزاياه، ومن يذمه ويحرمه، وحيث أنني لا أتصور الزار فإنني سأبقي عاجزا عن الفتوى الشرعية حياله، فالحكم عن الشيء كما أسلفنا فرع من تصوره.

في مدينة درنة أمارس عملي اليومي المعتاد مديرا للمعهد الديني الثانوي (منارة الصحابة للعلوم الشرعية) وإذ برجلين في أوسط عمرهما يدخلان علي الإدارة وعلامات الوجل والإرباك تلوح عليهما، رحبت بهما وأجلستهما وسألتهما عن سبب تشريفهما بالزيارة، فقال أحدهما: إن ابن عمه الذي برفقته يشرب الخمر وقد قدم إلى منزله مخمورا ووقعت مشادة بينه وبين زوجته فطلقها الطلقة الثالثة وإنَّ له منها أولادا وهو نادم على ذلك الآن ويسأل عن مخرج شرعي من هذه الطلقة.

الحقيقة إن الحياة الزوجية التزام ولفظ الطلاق ليس لعبة أو فكاهة يتلفظ بها المتلفظ بل مسؤولية ضخمة تقع على رب الأسرة تحديدا، إن الطلاق زلزال يضرب الأسرة فيشتت الأطفال ويهدم الآمال وينشر الخراب والوبال، نعم شرعه الله ولكن ليكون بعد أن نستنفد سبل الوفاق ويستحيل الاتفاق، لا ليكون قنبلة في يد طائش أرعن يلقيها متى شاء على أسرته فيحيلهم أشلاء.

على كل حال استمعت لقصتهما بإمعان وركزت على وجود عامل الخمر فأنا بطبعي ولكثرة ما رأيت من ويلات جرها يمين الطلاق على أطفال أبرياء ونساء غافلات ورجال يتقطعون حسرة وندما على ساعة نفخ فيها الشيطان لعنه الله سمومه في صدورهم فتسرعوا بأبغض الحلال عند الله، وأبحث عادة عن أي مخرج شرعي ترتضيه ملتنا الغراء لأفتى ببطلان الطلاق وبقي أمامي أن أتحرى عن القدر المسكر مما تناوله هذا الرجل، إذ لسادتنا العلماء قولان أصحهما عندي أنه لا ينعقد يمين السكران غائب العقل ولا يقع طلاقه وهو موجود في المذهب المالكي وثابت عن أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو قول عمر بن عبد العزيز، وإحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل، وهو القول القديم للشافعي، وقول الطحاوي من أصحاب الإمام أبي حنيفة.

جاء في الصحيح أن ماعز بن مالك لما جاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقر أنه زنى أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستنكهوه ليعلموا هل هو سكران أم لا؟ .أ.هـ.

وذلك أنه إن كان سكرانا لا يصح إقراره، وهذا أحد الأدلة التي استشهد بها الإمام أبو الوليد الباجي من علماء المالكية في هذه المسألة.

على كل حال طلبت منه أن يحضر لي زجاجة وأن يملأها بالماء بقدر ما شرب من خمر

ففعل، فصرفته على أن يأتي في الغد وعرضت الزجاجة على حبيبنا في الله النابه الموفق د. عبد المنصف العوكلي طالبا رأيه الطبي في مقدار الخمر المقدر بها هل يسكر أم لا؟ فقال: إن كان معتادا على الشرب فلا يسكر.

ثم اتصلت بصديقنا الفاضل عقيد فتح الله محيسن وكان يشغل منصب رئيس مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية وله خبرة طويلة بحكم تخصصه في التعامل مع السكارى والمدمنين طالبا رأيه وخبرته، فقدم علينا في المنارة واطلع على مقدار الماء الذي بالزجاجة، وقال نعم إن هذا القدر يسكر.

اكتفيت بما سمعت من هذين السيدين وشرعت في تكوين الفتوى، وقدم المستفتي في الموعد المحدد له وأخذت أجرره في الكلام لأعرف زمن ابتدائه في تعاطي هذه الآفة محاولا نصحه ووعظه بحرمة شرب الخمر على المسلم وتبصيره بعواقب شربها الاجتماعية والاقتصادية والصحية، واغرورقت عينا الرجل بالدموع فطمعت فيه أكثر وزدت من تركيز وعظي على مسامعه ساردا بعض المأثورات والقصص المنفرة من هذه التهلكة والأحاديث والنصوص الشريفة عن عقوبة شارب الخمر وما أعده الله سبحانه له، فطلب مني على استحياء أن أرافقه إلى منزله وطمعا في توبته فعلت وليتني ما فعلت.

دخلت ذلك المنزل أو الخرابة بمعنى أصح كان ضيقا متهالكا يخلو من الأثاث الضروري وباستثناء بقايا بساط مهترٍ وبعض وسائد هي كل ما يوجد في الصالة التي دخلتها لا يكاد يوجد شيء، فالبيت خال تقريبا من كل ضرورياته، لقد كان المسكين ينفق كل دخله على كؤوس الخمر يحتسيها مع رفقاء السوء.

زاد الحال كآبة دخول الأطفال الذين كانوا في أسمال بالية رثة تظهر عليهم بوضوح علامات العوز والمعاناة في وجوههم الصفراء وأبدانهم الناحلة ونظراتهم المنكسرة، فلا ألعاب يمرحون بها ولا دمى ولا بسكويت وحلواء مما يحبه الأطفال عادة، ولا وجبات منتظمة ولا شبع تقريبا ونحن في فصل الشتاء والمكان أو ما يسمى بالمنزل بارد تنخره الرطوبة، لقد كان قلبي يعتصره الألم، كنت شبه منهار، العبرة تخنقني وأسمع في أذني أزيزا وطنينا والأرض تدور بي وبطني ينتابها مغص متقطع، كنت كمن تتقاذفه الأمواج ولا يعرف السباحة وليت الأمر توقف عند هذا الحد إذ وقعت علي بقايا قواي المتهالكة الطامة الكبرى بدخول زوجة الرجال إلى الصالة.

كانت شابة نحيفة البدن ضئيلة الجسم بها بقايا وسامة طحنتها مرارة العيش وبؤس الشقاء، متورمة العين تخفي شعرها المتشتت بمحرمة تلفه بها، وفي ثوب رث تقدمت نحوي مرحبة

مصافحة مبدية واجب الترحيب عارضة اضافتي بإحضار شاي أو قهوة، ولا أدري لماذا خالجني شعور محزن بأن منزلها يخلو حتى من الشاي والقهوة، وجلست المسكينة قبالتي وشرعت في الشكوى من زوجها بحضوره.

قالت: إنه لا يتورع عن ضربها كل يوم تقريبا إذا ما خالطت الخمر عقله وسبها وشتمها وتعييرها بأنها سبب ما يعانيه من مشاكل.

وقالت: إنها تزوجت به رغما عن أهلها الذين رفضوه فقاطعوها منذ ذلك اليوم ونسوا أنها ابنتهم.

وأن أطفالها غير منتظمين في الدراسة بسبب ظروفهم الاقتصادية وإهمال والدهم وعجزها عن التصرف، وأنه يبيع ما يتصدق به عليهم بعض المحسنين وأهل الخير من سلع غذائية أو أثاث مستعمل ليشتري به الخمر الذي يشربه يوميا مع رفقائه في منزلها ويقضون ليلتهم في هرج ومرح وصياح وعراك بشكل يزعج الجيران ويرعبها ويفزع أطفالها الذين يأمرهم والدهم أحيانا بتقديم الشراب وإعداد عدة الحشيش لرفاقه، بل من أطفالها من يمد يده إلى الخمر ومدخنة الحشيش أحيانا حتى تحت نظر والده أو في غيابه بما في ذلك ابنتها المراهقة.

وخرجت من ذلك المنزل لأسير على غير هدى لأكثر من ساعة، وتردد الرجل على مكتبي طالبا الفتوى وعجزت عن افتائه إلى اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لمن نزل الفداء؟

هنيئا لك أيها البار بوالديه فقد أكرمك الله بعيد يحتفل فيه بشخصك الكريم كل مسلم، ويحيي ذكراك مع إشراق يومه كل مؤمن مبجلا معظما، إنه عيد الأضحى عيدك أنت وحدك لا يشاركك فيه آخر، عيد البر والفداء حيث فداك الله من كل سوء في الدنيا والآخرة بذبح عظيم، وكيف لا يكون عظيما وهو في كل دار مسلمة يقرب إلى الله بسببك.

مناسباتنا الإسلامية الكريمة هي قيم عظمى ومآثر مُثلى حوت أسرارا ومكارم ومُثلا واختزلت في طياتها معان راقية سامية ... ومن بينها عيد الأضحى المبارك الذي ما أن تهب أنسامه على المسلمين باليمن والبركة حتى تحدث معجزة ربانية متكررة كل عام، إذ تغادر قلوب ما يزيد عن مليار وربع مسلم حيثما كانوا في مشارق الأرض ومغاربها أجسادهم وتفارق أرواحهم أبدانهم لتكون هناك في الرحاب المقدسة ترفرف على ساحات الحرم المكي طائفة ترتوي من مياه زمزم المقدسة وتمتع أعطافها بحجر إسماعيل ومقام إبراهيم والصفا والمروة والحجر الأسعد وعرفات والمشعر الحرام ومزدلفة والحرم المدني الأعطر الأنور حيث خير الخلائق سيد ولد آدم نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وقباء والبقيع ومسجد القبلتين وأحد .
يا لها من أسماء مباركة تهطل لذكراها الدموع حبا واشتياقا وتسفح العبرات لها هياما وإعظاما.
ولكن ليس هذا كل شيء فقد اتسعت آفاق أعيادنا الإسلامية الكريمة وتعددت كبستان مونق مغدق تنوء أشجاره بالثمار.
فعيد الأضحى إضافة لكل معانيه العظيمة التي يشترك فيها المسلمون قاطبة به خصوصية لفئة من بني الإنسان لا يتنسم شذاها سواهم، ولا يعرف حلاوة مذاقها إلا هُم، فعيد الأضحى وسام إلهي من العزة والشرف تعلقه يد القدرة الالهية على صدر كل ابن بار بوالديه مطيع لله فيهما.

<u>إن عيد الأضحى هو اليوم العالمي لبر الوالدين</u>، وهو اليوم الذي اختاره الله تعالى ليكرم فيه كل ابن بار بوالديه حيثما كان ووجد من آسيا إلى أفريقيا إلى قارات الدنيا أجمع.
وترجع بنا الذاكرة إلى يوم مرت عليه آلاف السنين عندما رأى أحد أنبياء الله الكرام في منامه أنه يذبح ابنه وفلذة كبده الذي رزقه على كبر في آخر عمره ورؤيا الأنبياء لا تكون إلا حقا فما زاد على الامتثال للأمر الالهي الكريم ونادى حشاشة فؤاده وأخبره بما أراه الله.

وما من أب في الدنيا إلا ويعرف مشاعر ذلك الأب تلك الساعة، فالأب يرى ابنه واحة الأمن والأمان في حياته يحبه ويوده ويؤثره على نفسه يبيت طاويا ليشبع ويسهر الليل ناصبا ليهنأ يعد الأيام عدا ليراه رجلا مكتملا ناجحا موفقا فكيف يتصور أن يضجعه على جنبه ليحز رقبته بسكين ماضية حادة.

اللهم لطفك اللهم اجعلنا عبيد احسانك لا عبيد امتحانك فإننا ضعاف لا نقدر.

{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ - الصافات 102،103،104،105}.

هنيئا لك أيها الابن البار، هنيئا لك أيتها البنت البارة بعيد الأضحى فهو عيدكما دون كل خلق الله، أنتما أولى الناس به، أنتما من يفرح حقيقة بإطلالة يومه وإشراقة شمسه.

أما أنت أيها الناكر للمعروف المستدبر للجميل، يا من نسيت تعب أمك وأنت في أحشائها جنينا تكبر يوما عن يوم وشهرا عن شهر، وهى تتكبد من ثقلك وتعب حملك الذي يزيدها وهنا على وهن، حتى إذا اكتمل نموك وجاءت ساعة أولى أنفاسك في عالم التكليف قاست الموت مرارا وسفحت الدماء أنهارا، وتهاوى كل جسدها تحت مطارق الالام المبرحة من رأسها إلى أخمص قدميها ليشرق وجهها بأقدس ابتسامة في الدنيا وهي تسمع أولى صرخاتك وباكورة أنفاسك.

لقد نسيت سعيدة كل ما مر بها طوال أشهر تسعة مضنية مرهقة وهي تضمك إلى صدرها الرؤوم، وتحتضن جسمك الناحل إلى بدنها الواهن بمعاصمها الحنون.

إنها تذوب حبا ووجدا بيدك الصغيرة تمسكها وبشرتك الناعمة تلامسها وقسمات وجهك الصغيرة تلاعبها.

إنها ترضعك من جسدها، وتطعمك من خالص قوتها، وتكسوك وتسهر بجانبك باكية إذا مرضتَ، وتتحمل مشاكساتك التي لا تنتهي وإزعاجك الذي لا ينقضي، حتى إذا بلغت السادسة وحملت حقيبتك إلى المدرسة دخلت معك الصف الأول من جديد تراجع دروسك وتحضك على المذاكرة والدرس والمثابرة، وتوفر لك ما يساعدك على التفرغ لها، منتظرة ذلك اليوم السعيد بفارغ الصبر إذ تراك كبيرا ناجحا في حياتك موفقا.

أما أنت أيها الناسي البغيض المريض، يا من قُدّ قلبك من صخر، وصُنع كبدك من حجر صوان، أنت أعمى أصم لا تعلم ما فعله هذا الرجل المسمى والدك لأن تكون ما عليه اليوم، لم تسعه الدنيا يوم مولدك؛ فذبح لك العقيقة، وربما استدان ثمنها وتحدث عنك بفخر واعتزاز لجمع أقربائه وأحبابه وأصحابه وجيرانه، وطالما قدمك على نفسه لا ينام الليل إن مرضت، ولا تهنأ له ساعة إن تكدرت، إنه يعلق عليك آمالا كبارا وأحلاما جساما؛ فإن رأى ناجحا تمنى أن تكون مثله، وإن رأى صالحا ابتهل إلى الله تعالى أن تكون على شاكلته، لو اطلعت على قلبه لرأيته اختصر فيك كل حياته فما جزاؤه منك؟

لشد ما كنت دهشا وأنا أتابع برنامجا بثته الإذاعة المرئية عندنا في أحد شهور رمضان الماضية، لم يكن في الحقيقة برنامجا إذاعيا بل صفعة على وجه كل قيمنا الإسلامية وأصالتنا العربية وتربيتنا ومقدساتنا وموروثاتنا، إنها ركلة بحذاء قديم عفن نتن على رمز مقدس في قلوبنا تماما كالمسجد والزاوية والمئذنة ولوح حفظ القرآن الكريم.
كان هذا البرنامج ببساطة عبارة عن لقاءات في دار العجزة بطرابلس مع مسنين من الرجال والنساء؛ هذه جاء بها ولدها وتركها بباب الملجأ، وذاك أركبه ابنه وفلذة كبده سيارته موهما أنه يحمله إلى أقرباء لهم فأودعه الملجأ، نساء كثيرات ورجال اشتركوا في قاسم واحد مشترك هو الدموع يسكبونها دافقة على أبناء عقاق نكرات يخجل مجتمعنا أن يعدوا عليه أو يحسبوا منه.
يقيني أن عيد الأضحى لا علاقة له بهؤلاء على الاطلاق، وليس لهم منه إلا ذبح الأغنام وأكل اللحوم، أما معانيه الرفيعة فهي بعيدة عن أيديهم وقلوبهم، فإنَّ عيد الأضحى حكرٌ على طائفة من الخلق تضع نصب أعينها قوله تعالى: {**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**- الإسراء 23،24 }.

<u>**أقول:**</u> إن من كفر بنعمة والديه عليه وهما السبب المباشر في ايجاده وحفظ حياته كان بنعمة الله أكفر.
إن عيد الأضحى وهو عيد البر والإحسان عيد تلك العلاقة الربانية المقدسة بين الأبناء والآباء إنما يفرح به البررة الطيبون الذين يحادثون آباءهم وأمهاتهم بالحسنى بلا تذمر أو تكبر، الذين يخفضون لهمما جناح الذل من الرحمة فلا يصدر عنهم إلا الطيب من الأفعال

والأقوال الذين يدعون عقب كل صلاة لهم بقولهم **{رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً}** .
أما ما نسمعه أحيانا من أحداث مرعبة مهولة تنافي هذا المنهج الكريم فهي آلام وأحزان موجعة تهز الوجدان هزا .
عجوز في العقد السابع من عمره استغربت دورية الشرطة جلوسه على الرصيف في برد الشتاء القارس أمام عمارة فتوقفت لتسأله عن سبب ذلك فانهار بالبكاء وارتفع صوته بالنحيب، وبعد السؤال تبين أن ولده الوحيد لم يجد حلا لمشاكل عروسه مع أبيه وتضايقها منه وكثرة الحاحها في وجوب إبعاده عنهما ليهنأ له ولها العيش إلا أن يتخلص من والده، وهو ما أقدم عليه من منكر.
رجل تجاوز الثلاثين من عمره تفاقمت المشاكل بينه وبين والده فلم يجد إلا أن يضربه بحجر أرداه قتيلا.
رجل استطاع أن يخادع أهله وهم يعلمون بما يبيت لأمه من عداوة وضغينة فغافلهم وأوصد الباب عليه وإياها وانهال عليها بالسكين طعنا في احشائها التي حملته يوما حتى سقطت مضرجة في دمائها.
فتاة تدوس بقدمها النجسة كل القيم والمقدسات لتتزوج حبيب القلب رغما عن أنف والدها مخلفة له الذل والهوان بين أهله وأقاربه وجيرانه ما بقي له من أيام.
شاب لا يتورع عن الرد على أبيه بالسباب والشتم والبصاق على وجهه كلما احتدم بينهما النقاش.
رجل يرفع قضية على والده طالبا الحجز على أمواله بسبب صك كتبه والده له على نفسه ثم عجز عن السداد.

<u>المشكلة أن القانون لا يجد حلولا لمثل هذه الأمور</u>، والقاضي لا يستطيع أن يصدر حكما على ابن عاق يلزمه بأن يكون بارا بوالديه وعلى كل مسكين ابتلى بابن عاق أن يعيش ما تبقى له من خريف العمر في شارع اسمه شارع الحرمان والمقاساة يقع في حي الدموع والأحزان في مدينة اسمها مدينة الظلام الدامس.
إن هذه العلاقات المقدسة بين الأبوين وأبنائهما هي أكبر من القانون ومواده وأحكامه ومنزلتها أسمى من أن تمتد لها الأيدي أو الألسن انها شيء شريف عزيز بعيد عن الوصف والتعبير، انها كالشهد لا تستطيع أن تصف مذاقه لمن لم يذقه قط.

من الأحداث التي تختزنها ذاكرة مدينة بنغازي قصة أحد رجال المدينة الأفذاذ اسمه محمد

امحمد الحداد الورفللي كان من وجهاء المدينة وأعيانها إبان الاحتلال الايطالى وكان يملك مقطعا للحجارة يعمل فيه المئات يقطعون الحجر ويشذبونه يدويا بفؤوسهم إذ لم تكن آلات صنع الطوب ميسورة وقتها ليكون ملائما للبناء ويبيعونه، كان هذا الرجل الكريم يمول المجاهدين من ماله فيرسل لهم مع بعض خواصه وثقاته على عربة يجرها حمار أسلحة وأغذية وأنعلا للخيل وذخيرة ومؤنا وسواها مما كان يحتاجه أولئك الأبطال يغطيها بالزبالة والمخلفات موهما أنه يحملها لمصب النفايات، وتتداول الرجال الماهرة هذه العربة بطريقتها حتى تصل إلى عرين أسود الجهاد فينتفعون بها.

كان رحمه الله من الذين يجاهدون بأموالهم في سبيل الله تعالى، وكان من الطبيعي أن تكون أسرته وكذلك المقربون منه وأصحابه وأقرباؤه على علم بما يصنع ومن بينهم أكبر أولاده الذي كان مبتلى برفاق السوء يسهر معهم ليله على كاسات الخمور وصحون المدام، وكل الرذائل التي تجلبها أم الكبائر، ويقضي نهاره في التسكع معهم وترديد أحاديث السوء.

ولأن معاقرة الخمر لا تبقي على شيء من المال، ويحتاج متعاطيها إلى أوراق النقد يصرفها أنهارا فما بالك وقد التف به رفقاء الظلام ممن يتهافتون كالذباب والصراصير على كل شاب أرعن طائش يشمون في يده رائحة النقود لينفقها عليهم.

خلاصة الأمر لم يكتف قرناء الضلال من هذا الشاب المغرر به بما كان يعطيه له والده الثري على كثرته وما زالوا به حتى أدخلوا في رأسه أمرا تكاد السموات يتفطرن منه وتخر له الجبال هدا !!

إذ أقنعوه بأن يشي بأبيه ليعدمه الإيطاليون ويرث هو ماله ويخلو له الجو فيفعل ما يشاء ويستريح من لوم والده له وعتابه على سيره المنحرف، وزين شياطين الإنس هؤلاء هذه المدلهمة في نظره.

وذات يوم والعربة تسير الهوينى يقودها قريب لهم، ظاهرها مخلفات وبقايا وباطنها نار تحرق المستعمرين البغاة إذ بالكاربينيري الايطالي - الشرطة العسكرية - تطبق على العربة وتفتشها لتجد بها ما يكفي عُشره لإعدام قبيلة بأكملها وتقودها إلى دوائرها.

كانت إيطاليا في ذلك الوقت قد شكلت محكمة يطلق عليها المحكمة الطائرة نسبة إلى تنقل السفاحين ممن يسمون قضاتها بالطائرة لمحاكمة من يقع في براثن السلطات الإيطالية حيثما وجد، بلا ضرورة لنقله إلى المدن والمرور بإجراءات المحاكمة الطويلة.

مقطع الحداد بحي البركة ببنغازي سنة 1931م جمع الناس في مقطع الحجارة قسرا ومن بينهم الحاج عبد الطيف الحداد الملقب (ريبود) العامل في ذلك المقطع وقتها وهو أحد من

سمعت منه هذه الحادثة من تاريخنا ووقف المجاهد البطل يرتدى جردا ناصع البياض كبياض مقعده في دار الخلد التي يكرم الله سبحانه بها الشهداء الأبرار.

كان يقف في قوة وعزة وشموخ مقيد الأيدي والمشنقة منصوبة أمامه قبل أن تجتمع هيأة السفاحين القضاة مما يشي بسذاجة مسرحية المحكمة والقانون، إذ مادام الحكم قد صدر فما جدوى المحاكمة، والناس يتباكون حوله ولا حيلة لهم.

وأصدرت المحكمة حكمها بإعدامه شنقا بتهمة الخيانة العظمى، وإذ بالمحامي - ومن العجائب أن يكون المذنب محاميا - يقف ليقول إن الذي وشى بهذا الريبلي - المتمرد - هو ابنه وإن حكومة الدوتشي لن تنتفع برجل وشى بأبيه وانه يقترح إعدامه هو الاخر.

قال لي زوج عمة والدتي الحاج عبد اللطيف الحداد (ريبود): إن ذلك الشاب ما أن سمع الحكم ضده بالإعدام هو أيضا حتى صرخ وصار يصيح ويتخبط على الأرض والمشنقة تدق أمامه، لقد كان منهارا بالكامل عكس والده الذي كان كالجبل الأشم قوة وإباء وأعدم الاثنان بجانب بعضهما البعض في ساعة واحدة؛ ليكون أحدهما رمزا للبر والفضيلة والآخر رمزا للعقوق والرذيلة.

أقول هذا وأنا أعتذر منك أيها البار بوالديه، يا من يتخير لمناداتهما خير الألفاظ، ولا يقدم على صغيرة أو كبيرة إلا برضاهما، يا من يؤثرهما بخير طعامه وخير ماله وخير كلامه يا من يبتسم لهما ويلاطفهما ويرضي غرائز أبوتهما . . كم أحترمك وأجلك وأقدرك وأنت تجتهد في مرضاتهما وحبهما.

أما أنتما أخي الأب وأختي الأم فعليكما مسؤولية جسيمة؛ إذ ينبغي أن تعينا أولادكما على رضاكما بإحسان تربيتهم بالاجتهاد في اسعادهم وتنشئتهم على أصول التربية الإسلامية الفاضلة بالنصح والإرشاد والتوجيه إلى جميل الشيم والطباع؛ كوّنا في منزلة الأبوة المقدسة الأسوة الحسنة فكم من أم جنت على ابنتها أفسدت حياتها وسممت عيشها وخربت بيتها، وكم من أب ألقى ابناءه في غياهب الهلاك والمشقة.

أنصحكما بالعلم فليست الأسرة فقط منزلا وأثاثا وطعاما، وإنما يجب على الوالدين أن يتعلما كيف يربيا أولادهما فلا يلقيا بهم إلى المهالك والمفاوز، فأصابع الاتهام تشير اليكما موجهة أفظع التهم مع رؤية كل طفل يقضى يومه في الشوارع عابثا مفسدا، أو متناولا للخمور والمخدرات، أو نافثا لدخان السجائر من فمه، مادا يده بالسرقة، مطلقا لسانه بالفحش والبذاءة وأحيي في هذا المقام طائفة من أهل التصوف طالما ربوا أجيالا عظاما وسدوا خلالا، وعوضوا نقصا لأسر مريديهم، وقد ألقوا على كواهلهم مسؤولية تربيتهم بعلمهم

الواسع وحكمتهم الرحبة؛ فأخذوا بأيدي أولادها أجيالا وراء أجيال، وقدموا للمجتمع نخبا من أهل الفضل والخير فلله درهم.

مما ترويه كتب الأدب العربي أن أمّا كان لها ولدان نشأ في بيت واحد وتحت سقف واحد، وذهبا إلى كتاب تحفيظ القرآن الكريم معا؛ بيد أن أحدهما رأى مرة بيضة في دجاج جارهم فاشتاقت نفسه إليها ولم يملك إلا أن يدخل خلسة ويسرقها، وأحضرها إلى أمه التي فرحت بالبيضة وضحكت، وأعدتها طعاما ساخنا شهيا وقدمتها له ... ومضت الأيام ليصير أحد الأخوين قاضيا بينما صار سارق البيضة من كبار اللصوص، وقبض عليه يوما بالجرم المشهود، وأحضر إلى أخيه القاضي الذي أنفذ فيه الحكم بقطع الكف الآثمة، فأمانة العدل والإنصاف فوق كل اعتبار، وصاحت الأم باكية: وي !! ولدي ستقطع كفه ويصير منبوذا بين الناس بجريرته !! وامصيبتاه! واحر قلباه !! ولكنها فوجئت كما فوجئ كل من بقاعة القضاء بالابن اللص يقول لها: أنت من قطعتي يدي.
فقالت : كيف قطعت يدك وأنت ولدي وحبة عيني؟.
قال : قطعتي يدي يوم رأيتني سرقت بيضة جارنا ولم تنهيني.
خلاصة الأمر ان الأعياد والمناسبات الإسلامية الكريمة هي قيم عظمى لا ينبغي أن تمر دون أخذ الدروس والعبر، وما أحوجنا اليوم ربما أكثر من وقت مضى في تاريخنا الطويل إلى العودة إلى معاني تلك القيم الكبيرة واستلهام معانيها ... أما أنت أيها المحجوب المنبهر بالشرق والغرب وقد سميا أياما لتعظيم مناسباتها فاعلم إن عيد الأضحى هو اليوم العالمي عندنا لبر الوالدين.

يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس

قد يقرأ أحدنا رواية حاكها خيال أديب مبدع أو يسمع قصة نسجت أساطيرها أفكار راو جامح، ويستغرب ما بها من أحداث غير قابلة للتصديق، ولكن في أحيان كثيرة تفوق الحقيقة الخيال وربما تضخمت غرائب الحقيقة لتصير كالشمس الساطعة وتضاءلت ظنون الخيال بجانبها لتكون الشمعة الذاوية.

الإنسان صنعة إلهية محكمة وصبغة ربانية متفقة، خلايا وعروق وعصب ودماء وعظام ولحم وشعر، تتكامل فيه العين مع المعدة مع القدم مع الأنف، كل ما فيه يخدم بعضه بعضا، حقيقة أقرها معلم الإنسانية الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله فيما أخرجه البخاري ومسلم: {مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى}.

ويحدث أحيانا أن يصيب المرض أحد أعضاء هذه المؤسسة الربانية فيختل نظامها ويرتبك أداؤها فيعطب عضو ملموس محسوس كالمعدة أو القدم أو الضرس مما يحوج إلى الطبيب وعقاقيره ومشرطه، وأحيانا يكون العطب في ذلك العالم المجهول من الإنسان حيث النفس ذلك الكون الواسع واضطراباتها وثوراتها وحممها الملتهبة، والعقل ذلك البعد الشاسع الرحب؛ فترى الإنسان سليما معافى في كل عضو في جسمه غير أنه لا يميز بين حق وباطل وخطأ وصواب، فيتساوى عنده التمر والجمر، ويسقط عنه التكليف الشرعي والاجتماعي، ويصير أقبح ما يأتيه مقبولا بعين الشفقة والرحمة، هذا الجزء الغامض البعيد عن حيز رؤيتنا في النفس والعقل لا يزال بحرا عميقا متلاطما مجهولا تتخبط فيه سفينة الطب الحديث والتكنولوجيا المتطورة كأنها قشة في خضم المحيط الهادي تتقاذفها الأمواج، فمقدار ما يعرفه الإنسان عنها اليوم رغم كل غروره وادعائه وجامعاته ومناهجه لا يشكل سطرا واحدا في كتاب من مليار صفحة.

وفي أحيان أخرى تكون العلة لا في البدن أو النفس أو العقل، وإنما يتهاوى الإنسان ويضع الطبيب كفه على خده حائرا ويفقد الدواء مفعوله بسبب تدخل قوى غير منظورة تسكن جسد الإنسان أو تمسه فتحيل سكينته تعبا وراحته نصبا؛ إنها قوى من عوالم أخرى خلقها الله لا تدخل تحت حواس عمومنا ولا يراها منا إلا بعض من بعض.

إنني أقصد عالم الجن ذلك العبد المخلوق من مارج من نار، الموجود على ظهر الكرة الأرضية قبل أن يسوي الله تعالى جدنا آدم عليه السلام بشرا سويا، وقبل أن أسترسل في

موضوعي هذا أحب أن أذكر أن السبب الذي دعاني للخوض فيه هو هذه المناظر المأساوية المحزنة والكوارث المتتالية بسبب الضلالات وأساليب الدجل والشعوذة التي يسطوا بها من لا يخافون الله من مُدّعي علاج المس وإخراج الجان الساكن في الأجساد، وقلب أوراق الصحف والمجلات دنانيرا على أموال الناس وممتلكاتهم، وأحيانا ما هو أكبر وأكثر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
إذ صار من المألوف جداً أن تجد في كل مدينة وقرية وواحة من يتاجرون في بلاءات الناس ومحنهم مستغلين سذاجة الضحايا وبساطتهم لتحقيق مكاسب غير مشروعة ووسيلتهم لذلك حيل وألاعيب وذكاء لتحصيل المال الحرام وبعض مقتطفات من أدعية وطلاسم التقطوها من هذا الكتاب أو ذاك، ثم تتكفل طبيعة مجتمعنا الطيب بإكمال الباقي، وتتوارد النساء وهن جل زبائن هذا السوق الحرام على باب هذا الدعي أفواجا، وبقية القصة معروفة إذ تجلس الواحدة منهن أمامه ليقرأ عليها بعض آيات كريمة وأدعية ويسقيها من قدح ويعطيها زجاجة ماء لتشرب منها كل صباح أو تغتسل، وبعض أحجبة لتعلقها أو تحرقها.
وما أكثر دواعي بنات حواء لحضور هذه المنكرات، فالتي تأخر عنها الخُطاب وتخاف الإقامة الدائمة في كهف العنوسة المظلم، والتي سودت عيش زوجها وعاشرته بالسوء عوضا عن المعروف حتى فاض به الكيل وهجرها، والتي تأخر انجابها، والتي تريد الكيد لفلان وفلانة.
وللرجال أيضا حضور في سوق الظلام هذا، وكم من شاب يعلق شهادته الجامعية على جدران داره ويرتمي على أقدام هؤلاء الجهلة ليقربوا له بعيدة وييسروا له صعبا ويجلبوا له ثروة، بل طال هذا الوباء حتى متحمسي كرة القدم منهم ومشجعي الأندية الرياضية فطرقوا أبواب النصابين ليسجل هذا الفريق أهدافا أكثر في شباك ذاك.

الحقيقة إنني لا أنكر مس الجان وما يتسبب للإنسان به من اعاقات وأمراض واضطرابات تنغص عيشه وتتحرف بمسار حياته إلى حيث لا يرغب، كيف والله سبحانه القائل: {**الّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إلّا كَمَا يَقُومُ الّذِي يَتَخَبّطُهُ الشّيْطَانُ مِنَ المَسّ** - سورة البقرة 275}.
وعدم رؤية غالبنا للجان يعيث في جسد الإنسان فسادا لا يعني عدم وجوده، فإننا لا نرى بأعيننا المجردة البكتريا والميكروبات والجراثيم، ومع هذا نسلم بوجودها ولا ننكر تأثيرها في أجساد البشر.
والجان يشتركون معنا في بعض الصفات مثل الحياة والموت والعقل والإدراك والتزاوج

والإنجاب والمقدرة على اختيار سبيل الخير أو الشر، وهم مثلنا لهم أسماء وألوان وأعراق؛ فمنهم الأصفر والأحمر والأسود، كما أن بعضهم طائر في الهواء وبعضهم سائر أو زاحف، ولبعضهم المقدرة على التشكل في صور المخلوقات الحية؛ فإن فعل ذلك صار أسيرا لقوانيننا الطبيعية وسهل قتله والقضاء عليه.

والإنسان إذا ما أصيب - لا سمح الله - بمس الجان ظهرت عليه أعراض ذلك وهي 12 عارضا في اليقظة، و6 في النوم، وربما تظهر جميع الأعراض الثمانية عشر وأحيانا بعضها فقط.

وهناك أربعة أنواع من المس هي: مس كلي يحدث أثره في سائر أجزاء الجسد، ومس جزئي يمس فيه الجن جزءا فقط من الجسد كالذراع أو الرجل، ومس دائم يستمر أثره في الجسد طويلا، ومس عارض يعاود الإنسان حينا بعد حين.

والجان خلقه الله سبحانه من نار:{ **وَالْجَآنّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نّارِ السّمُومِ** - سورة الحجر 27 }، وطبيعته الاهتزاز والتذبذب {**فَلَمّا رَآهَا تَهْتَزّ كَأَنّهَا جَانّ وَلّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقّبْ** - سورة النمل 10}، وإبليس - لعنه الله - نفسه من الجان: {**فَسَجَدُوا إِلّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** - سورة الكهف 50} ، والحكمة الإلهية العظيمة من خلق الجان هي عين الحكمة الإلهية العظيمة من خلقنا معشر الإنس: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالأِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ** - سورة الذاريات 56}، وهم على غير ما يعتقد عوام الناس لا يعلمون الغيب {**فَلَمّا خَرّ تَبَيّنَتِ الْجِنّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ** - سورة سبأ 14}، ومنهم المسلم ومنهم الكافر: {**وَأَنّا مِنّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنّا الْقَاسِطُونَ**- سورة الجن 14}، بل ومنهم أيضا أهل الصلاح والتقوى: {**وَأَنّا مِنّا الصّالِحُونَ وَمِنّا دُونَ ذَٰلِكَ** - سورة الجن 11}، ومنهم أيضا رسل الله الكرام وأنبياؤه: {**يَا مَعْشَرَ الْجِنّ وَالْإِنس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مّنكُمْ يَقُصّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي** - سورة الأنعام 130}.

فالإيمان بوجود الجن واجب على كل مسلم ومسلمة وإلا أنكر معلوما من الدين بالضرورة أثبته القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ولكنني أنكر بالكامل جملة وتفصيلا هذه المهازل التي ترتكب من قبل الجهلة والحذاق لاستلاب أموال الناس باسم الجن وعلاج مس الجن، بل هناك جرائم قتل قام بها المعالجون الجهلة بأن تمادوا في ضرب من يعالجونه فمات بين أيديهم أو غطسوه في برميل مليء بماء كانوا قد قرؤوا عليه فمات غرقا.

خلاصة الموضوع الذي أدعوا إليه هو اخضاع هذا الأمر للضوابط العلمية والقانونية التي

تضمن السلامة وتحول بين الجهلة والنصابين وبين ضحاياهم وتحمل كل طرف مسؤوليته، ولا يفيدنا أن نواري رؤوسنا في الرمال تاركين هذه الظاهرة على عواهنها نعترف بوجودها ونعايش يوميا سلبياتها ومضاعفاتها الخطيرة ولا نحرك ساكنا لعلاجها.

عُقدت في عام 1998م في مدينة درنة بحضور كثيف للمواطنين والمهتمين ندوة شاركتُ فيها كممثل لرأي الشرع، وبعض المختصين منهم صديقنا الفاضل النابه د.عبد المنصف العوكلي ممثلا لتخصصه كدكتور أمراض نفسية وعصبية، ومحام ممثلا لتخصصه القانوني، وشيخنا الفقيه الأديب الفاضل محمد القديري ممثلا لتخصصه كمعالج لأمراض مس الجان، وأدار الندوة بنجاح فائق المسرحي المثقف الفاضل الأستاذ مفتاح الضبع الحصادي، وبعد حوار متشعب تخللته الأدلة الشرعية والتجربة الشخصية والآراء الطبية والقانونية خلص المنتدون إلى عدة نتائج من بينها ما قلته في تلك الندوة وسأبقى أقوله وهو أنه (يجب أن يمارس معالج مس الجان مهنته بتصريح رسمي) ، وانتهت الندوة على ذلك.

الحل الأمثل في نظري أن تتكفل الإدارة التعليمية عندنا بإيجاد مؤسسة علمية متخصصة تُدرس بها المراجع والكتب العلمية المتخصصة في هذا الموضوع، ولها أن تستفيد من بحوث سابقة في هذا المجال منها على وجه الخصوص تلك التجارب العلمية والمباحث المعملية الأكاديمية عالية الكفاءة التي قامت بها مؤسسة العلوم الطبية الإسلامية بمدينة (بنما سيتي) بولاية فلوريدا الأمريكية للعلاج بالقرآن الكريم، ليكون مجموعها مفردات مناهج علمية ممتازة تدرس على أيدي أساتذة مختصين، وتمنح شهادات تخرج تجيز لحاملها أن يفتح عيادة متخصصة موثوقة يطمئن إليها المريض وذووه وتتحمل المسؤولية المهنية والقانونية بمقابل يتقاضاه المعالج مما يوصد الأبواب أمام المشعوذين والدجالين ويوقف نزيف سلب الأموال وجرائم النصب والاحتيال وانتهاك الحرمات بالباطل.

إن اعتماد المؤسسات التعليمية والعلمية المتخصصة في علاج مس الجان وفتح العيادات تحت نظر القانون وضوابطه ليس بدعة ولا تخلفا، بل ظاهرة طبيعية سبقتنا إليها دول كثيرة مثل الولايات المتحدة الأمريكية التي بها معهد ضخم مختص في الطب البديل وأكبر أقسامه مخصص لعلاج مس الجان يقع في شارع ليكسنقتون افينفي في نيويورك، أما في بريطانيا فيوجد أكثر من عشرة معاهد أشهرها مؤسسة بريطانيا العظمى الروحانية وعنوانها 33 ميدان بيلقريف في لندن، بل نشرت مجلة (نيوز أوف ذي وورلد) الإنجليزية أنه عقد في وسط قاعة مجلس النواب البريطاني جلسات للحديث مع الجان، كما يعتبر البحث المدون

في دائرة المعارف البريطانية تحت عنوان {Dcmonlogy} وهي كلمة لاتينية تعني علم الجن من أهم البحوث في تخصصه، وفي فرنسا طوّر د.شارل ريشيه عضو الأكاديمية الطبية بباريس جهازا لرصد مادة ضبابية باهتة تخرج من جسم الإنسان تتماسك في الشخص المصاب لتشكل مادة من ثلاثة ألوان أطلق عليها مصطلح (السيكو بلازم) ، وكان سبقه مختص كبير في علم الجان اسمه د.كارل ويكلاند أستاذ التشريح بجامعة (الينوى) إلى اختراع أول جهاز كهربائي لإخراج الجان من أجساد المبتلين به.

وفي مصر توجد عيادة متكاملة بمقر صحيفة الأحرار في 19 ش. الجمهورية، عابدين بالقاهرة لعلاج المصابين بمس الجان ذات شهرة عربية كبيرة، وفي المغرب كذلك.

باختصار شديد هذا هو السبيل الأمثل في نظري لرأب الصدع والارتقاء بتصدينا لهذه الظاهرة التي نعلم جميعا من دون استثناء واحد أنها موجودة وأن استغلالا بشعا يمارس من قبل الحذاق والنصابين والدجالين والمشعوذين على من ترمي بهم الظروف بين أيديهم القذرة، ولكننا نتجاهل الأمر تاركين الحبل على الغارب وكأننا لسنا مسؤولين ولا الأمر يهمنا.

نعم هذا هو الحل الأمثل بعد أن عجزت كل المحاولات الأمنية والقانونية والاجتماعية عن احراز أي تقدم يذكر في هذا المضمار.

نعم هذا هو الحل بعد أن تكالب علينا المشعوذون من كل الجنسيات وبكل اللغات واللهجات ليعيثوا في مجتمعنا الطيب نساء ورجالا صغارا وكبارا فسادا، وينهبوا الأموال ويغرروا بالسذج والأبرياء.

وبقيت كلمات أحب أن أقولها لصنف من الناس لا يؤمن إلا بما يراه بعينه ويلمسه بيده وينكر ما سوى ذلك ومن بينه عالم الجن الذي نتحدث عنه، كلمات هي شواهد من واقع تجاربي الشخصية في مدرسة الحياة الواسعة.

منذ ثلاثين عاما وذلك في صيف 1974م كنا في البادية بضواحي مدينة طبرق نحتفل بمناسبة سعيدة هي زواج أحد أعمامي، وتناهى إلى أسماعنا نبأ أحداث مخيفة مرعبة حلت بأسرة من بني عمومتنا تقيم في باب الزيتون على مسافة قريبة منا، فذهبتُ لزيارتهم والتأكد مما سمعناه، وكان جل الناس وقتها في تلك البوادي يسكنون في أكواخ من صفيح، أتيتهم فوجدتهم قد أبقوا النسوة في الكوخ وبنوا بيت شعر بجانبه ليستقبلوا فيه قوة من رجال الشرطة على رأسها حاكم دار طبرق كما كان يسمى وقتها الرائد حماد عطية الله الغيثي، دعوهم أملا في إيجاد حل للمأساة التي حلت بهم، كان الوقت بعد صلاة المغرب، دخلتُ

البيت الذي كان مضاء بفنار يوقد بالكيروسين إذ لم تكن الكهرباء قد وصلت بعد، فوجدت رب الأسرة الحاج إسرافيل سعيد عمر الزول متكئا على أحد جابري البيت فصافحته والحاضرين وجلست إلى الجابر الآخر، وسألتهم عن الأمر فقالوا سترى بعينك !!!.

فجأة يد لا نراها أنزلت فتيل الفنار فبهت ضوؤه كأن تحضيرا لمسرح الرعب وتوزيعا قاتما للإضاءة على خشبته تعده يد مخرج رعب محترف يتم في صمت، وبلا أي مقدمات انهالت علينا الحجارة لكأن زلزالا حل بالمكان، كانت الحجارة تسقط علينا من الأعلى وسقف بيت الشعر لا يُثقب، ثم وبغزارة وعنف أقوى انهالت علينا الأتربة والرمال أشبه ما يكون ببركان غاضب يلقي حممه، وتوقف الأمر قليلا لننتقل إلى فصل آخر من المأساة أكثر فزعا ورهبة إذ أحد الحاضرين وكان مستلقيا على جنبه ملتفا في عباءته فوجئنا بمخلوق غير مرئي يمسك أطراف عباءته وينفضه في الهواء فطار المسكين يتقلب حتى سقط مرتطما بالأرض، بعد ذلك ارتفعت برذعة الحمار في الهواء بقدر متر عن الأرض تقريبا ليوجه بها حاملها المرعب رسالة غير مهذبة المضمون لصاحب الدار إذ وضعها على ظهره، لقد كان هذا المخيف غير المنظور لا يقيم وزنا لشيء وكأنه يتعمد أن يحدث فينا أكبر قدر من الإرهاب والخوف باستخفاف وتدبير محكم، كنا بحق نشاهد فصول مسرحية مرعبة مؤلفها وبطلها ومخرجها شخص واحد تطال قواه الرهيبة قوانين جنسنا وحياتنا إضافة لقوانين جنسه وحياته مما أعطاه تفردا ومقدرة غير محدودين.

ثم ابتدأ لمزيد ارهاب الحاضرين مهرجان رعب مخيف من بقايا أعقاب السجائر المشتعلة التي كان يرميها من بالداخل إلى فم البيت فصارت تتراقص في الجو كأنها زينة عرس كهربائية، ثم انطلقت تلك القوة الخارقة إلى نضدة البيت حيث يخزن أهله طعامهم فخلطت الطماطم بالبطاطا بالأرز بالدقيق بكل شيء، ثم تركت بيت الرجال لتنهال مئات الحجارة على صفائح الكوخ كأنها طلقات مدفع رشاش مضاد للطائرات سرعة وتواصلا وقوة؛ فخرجت النسوة مسرعات بعضهن يتصايحن وبعضهن لا يدرين ما يفعلن، ثم عادت إلينا تلك القوة الهائلة لتجذب شرطيا برتبة كنا نسميها آنذاك (صول أصوال) - ولا أعرف ما يوافقها الآن - من معطفه الأزرق من بيننا إلى آخر البيت ففقد المغلوب على أمره النطق لفترة عاجزا عن طلب النجدة ممن حوله ظانا أنه ستحمله إلى أبعد من ذلك، ثم وفي استعراض عنيف لقوتها جذبت جابر البيت من أعلى حتى كادت توقع البيت على رؤوس من به، وعبثا ذهبت محاولات من أمسكوا أسفله فلا أثر لهم اطلاقا، لكأنهم نمل يصارع ثورا.

اتضح بعد ذلك أن تلك القوة العنيفة غير المنظورة هي أم ثكلى من إناث الجن أحرق أطفال من تلك الأسرة فؤادها وأشعلوا نار الحزن في قلبها بحرقهم أولادها من غير ما قصد، فثارت ثائرتها غضبا وسعيرا وحمما انفجرت لأيام في مسلسل الرعب الذي ذكرته ثم لطف الله بها وبتلك الأسرة وانقضت المأساة.

1993م شابة سكنتها جماعة من الجان ففعلوا بها من التشويه والإعطاب ما شاء لهم كيدهم - أخزاهم الله - ؛ أسقطوا شعرها وفتتوا أسنانها وأذبلوا بشرتها وغيروا هيأتها فصارت وهي في شرخ الشباب دون العشرين ربيعا كأنها عجوز مسنة، وفي حوار معهم شارك فيه صديقنا المجتهد الموفق د.عبد المنصف العوكلي الذي اضطر لحقن جسدها بمخدر وقال لي: إنه لو أعطي لفيل لخر على جنبه يغط في سبات عميق.

فما كان من أحد أولئك الأوغاد الساكنين جسدها إلا أن قال وهو يقهقه على لسانها: أتحسبون أن هذه الحقنة تؤثر علي، إنكم لن تستطيعوا شيئا، وفعلا هو ما حدث.

1999م شاب حسن السمعة دمث الأخلاق من درنه أتم دراسته الجامعية ويزاول عملا حرا يدر عليه دخلا حسنا، فجأة حلت عليه المصيبة؛ فهجر أسرته وتغيرت هيأته وعاف الطعام وأغلق عليه باب داره وجفاه النوم فذبل بدنه واصفر لونه ولم يعد ينظر واقفا أو قاعدا أو نائما إلا للأعلى فبرزت رقبته بشكل مشوه مريع وعجز الطبيب وبطل الدواء ومات والده كمدا وحزنا، كل ذلك من مس جان أصابه وإنا لله وإنا إليه راجعون.

<u>الخلاصة</u> إن عالم الجن هو عالم حقيقي أثبته القرآن الكريم الذي سمى احدى سوره الكريمة سورة الجن، وأثبته العلم الحديث والتواتر وسماع الناس ورؤيتهم، بل إن كتابا صدر في بريطانيا سنة 1917م باسم {رسائل الجندي دودنج الخاصة} تأليف: ميجر. و. تيودور يول، وترجمه إلى العربية الأديب السيد مصطفى العلوي لينشر معربا سنة 1935م به صورة فوتوغرافية لشخص من الجان يقف محاذيا لأحد المختصين في هذا العلم اسمه ب. سنيت لتكون أول صورة فوتوغرافية للجان ثم تبعتها صور كثيرات أخر.

ختاما لا أظنني أتيت بغريب أو عجيب فهي أمور تحدث في كل يوم وليلة، في كل حي وشارع، وتوجب التدخل العلمي الشريف العاجل، وحتى يحين أجله فإنني أنصح كل أسرة بأن تجعل في دارها رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى شرار الجان وهذا نصها :

بسم الله

هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين إلى من طرق الباب من العمار والزوار أما بعد فإن لنا ولكم في الحق منعة فإن تك عاشقا مولعا أو فاجرا مقتحما أو زاعما حقا مبطلا هذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ورسلنا يكتبون ما تكتمون اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الأصنام وإلى من يزعم أن مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون تغلبون حم لا تُنصرون حم عسق تفرق أعداء الله وبلغت حجة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.

<u>وأصل هذه الرسالة النبوية الشريفة</u> حديث رواه البيهقي في دلائل النبوة وذكره الحافظ السيوطي أيضا مفاده: أن الصحابي أبا دجانة قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت:

يا رسول الله بينما أنا مضطجع في فراشي إذ سمعت في داري صريرا كصرير الرحى ودويا كدوي النحل ولمعا كلمع البرق فرفعت رأسي فزعا مرعوبا فإذا أنا بظل أسود تدلى يعلو ويطول في صحن داري، فأهويت إليه فمسست جلده، فإذا جلده كجلد القنفذ فرمى في وجهي مثل شرر النار وظننت أنه قد أحرقني وأحرق داري.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عامر دارك سوء يا أبا دجانة ورب الكعبة ومثلك يؤذى يا أبا دجانة، ثم قال ائتوني بدواة وقرطاس فأتى بهما فناوله يد علي بن أبي طالب، وقال اكتب يا أبا الحسن.

فقال: وما اكتب؟

فأملى عليه الرسالة التي ذكرناها آنفا ... قال أبو دجانة: فأدرجته [يقصد المكتوب] وحملته إلى داري وجعلته تحت رأسي وبت ليلتي، فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول: يا أبا دجانة احرقتنا الكلمات بحق صاحبك لما رفعت عنا هذا الكتاب فلا عود لنا في دارك . ..

وقال غيره : ولا في أذاك ولا في جوارك ولا في موضع يكون فيه هذا الكتاب.

قال أبو دجانة : فقلت لا، وحق صاحبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا رفعته حتى استأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال أبو دجانة : فلقد طالت علي ليلتي مما سمعت من أنين الجن وصراخهم وبكائهم حتى أصبحت فصليت الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بما سمعته من

الجن وما قلت لهم، فقال لي: يا أبا دجانة ارفع عن القوم فو الذي بعثني بالحق نبيا إنهم ليجدون العذاب إلى يوم القيامة.

فــــهرس

مؤلفات فضيلة المُحدث المؤرخ مُسند الديار الليبية
علامة ليبيا الكبير الشيخ أحمد القطعاني

منقولة عن صفحة {موسوعة القطعاني} على الفيس سبوك ... الناشر.
https://www.facebook.com/alqatani.encyclopedia

1. مختارات من غناوي البادية (أدب شعبي) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1972م}.
2. الروائح الشذية / مخطوط {ألفه سنة 1978م}.
3. الكناش / مخطوط {ألفه سنة 1983م}.
4. متون ليبية / مخطوط {ألفه سنة 1984م}.
5. تسهيل المرام لدارس عقيدة العوام (عقيدة أشعرية) / أكثر من 10 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1984م}.
6. مرشد المبتدئين في تلخيص متن المرشد المعين (فقه مالكي) / مخطوط {ألفه سنة 1985م}.
7. لا مخبأ لعطر بعد عروس (أدب)/ مخطوط {ألفه سنة 1985م}.
8. مواجيد المحبين وأشواقهم لسيد المرسلين / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1987م}.
9. منتخبات زهر الخمائل من قصائد الشعر الشعبي للأواخر والأوائل / (أدب شعبي) مخطوط {ألفه سنة 1987م}.
10. الخلاصة / مخطوط {ألفه سنة 1989م}.
11. الحجة المؤتاه في الرد على صاحب كتاب إلى التصوف يا عباد الله / أكثر من 22 طبعة كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1990م}.
12. القطب الأنور عبد السلام الأسمر / 8 طبعات كما نشر على شبكة النت {ألفه سنة 1992م}.
13. الشيخ الكامل محمد بن عيسى / أكثر من 8 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1992م}.
14. تقديم وتحقيق وتصحيح وضبط كتاب {مختصر البحر الكبير} للشيخ عبد الرحمن المكي ت998هـ،1590م / مخطوط {ألفه سنة 1993م}.

15. الآرس في نسب الفواتير من آل بوفارس (أنساب) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1993م}.
16. الإهابة بمن دفن في البلاد الليبية من الصحابة (تاريخ) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1994م}.
17. الداني المدني محمد حسن حمزة ظافر المدني / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
18. الوارث النبوي أحمد بن مصطفى العلوي / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
19. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط كتاب {فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم} للشيخ عبد السلام بن عثمان ت1139هـ،1727م / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
20. تحفة الحبيب الزائر (تراجم) / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
21. الغوث في أوراد الشيخ محمد بن عيسى الغوث / 3 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1995م}.
22. قاف العرب (في علم القراءات)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1995م}.
23. شيخ الشهداء الصوفي عمر المختار (تاريخ)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1995م}.
24. حراس العقيدة (تراجم)/ طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1996م}.
25. برقمة عند الوكن (تربية وتعليم)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1997م}.
26. دليل الخيرات محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1997م}.
27. مسرحية فتح مكة (مسرح)/ مطبوع {ألفه سنة 1997م} وهي مسرحية ذات رؤيا تتحدث عن فتح مكة لقلوب الناس وعن أساليب الدعوة الإسلامية الخالدة وآراء كبار مفكري العالم وأدبائه وأعلامه فيها وتقبل عقول الناس وانشراح قلوبهم لها قدم العرض الأول لها بمناسبة ذكرى فتح مكة التي كانت على الأبواب على مسرح الفنان محمد عبد الهادي بدرنه في 16/ رمضان/1418 الموافق 1998/1/15م أداء طلاب وطالبات منارة الصحابة للعلوم الشرعية وإخراج الفنان منصور سرقيوه.
ثم قدم العرض الثاني لها مساء يوم الخميس 2008/10/09م في اليوم الوطني للمسرح في ليبيا وذلك بمناسبة مرور 100 عام على تأسيس المسرح الليبي الحديث

أدتها على مسرح الكشاف بطرابلس فرقة غفران للأعمال الفنية والمسرحية بالتعاون في عرضها مع العديد من الفرق الفنية الليبية المماثلة وإخراج الفنان صالح بوالسنون.

28. مجالس الفقراء/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1998م}.
29. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط ديوان الشيخ أحمد البهلول ت1113هـ،1701م (مدايح نبوية) / أكثر من 20 طبعة كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
30. على مشارف تونس (أدب رحلات) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
31. من مسجد الحي إلى المسجد الأقصى (دراسات إسلامية)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
32. معالم وأعلام (أدب رحلات) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
33. موسوعة القطعاني الإسلام والمسلمون في ليبيا / طبعتان {أتم تأليفه سنة 2000م}.

استغرق تأليفها 18 عاما تؤرخ لأكثر من 1400 عام أي منذ الفتح الإسلامي لليبيا سنة 21هـ وتوثق تاريخ ليبيا الإسلامية بأدق تفاصيله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وسواها ، والصحابة الكرام وآل البيت عليهم السلام الذين دخلوها والذين دفنوا بها منهم ، وأهم الأحداث الإسلامية التي حدثت بها ، وحوت تراجم 700 شخصية من الأعلام ذكورا وإناثا غالبها يؤرخ له لأول مرة ، والرجال المميزين من غير الليبيين الذين دخلوا ليبيا وأثروا بها وعام دخولهم إليها وأهم أعمالهم فيها.

وأكثر من 100 عمود نسب ونحو 600 سند متصل وسند 40 كتاب حديث شريف وأرخت لكل الطرق الصوفية التي ظهرت بليبيا مع ذكر مؤسسيها ومشايخها ووقت ظهورها في البلاد وزواياها وأسانيدها الصوفية ومصطلحاتها وتعريفاتها وبحوث علمية حولها ووثقت وضبطت عدد قبائل ليبيا والكثير من أسرها بادية وحضرا وتنقلاتها وأصول الأمازيغ وهجرتهم إلى شمال أفريقيا ووثقت بمنتهى الدقة لـ 16 دولة هو مجموع الأنظمة التي شكلت دولا أو أسرا حكمت ليبيا في عهدها الإسلامي مع التعريف بمؤسسي هذه الدول والأسر وأهم رجالها ومذهبها وما واجهها من أحداث ، والاستعمارات الحروب الأهلية التي نشبت بليبيا.

وأهم مساجد ليبيا وزواياها ومصاحفها ومدارسها التاريخية ومعاقلها ومكتباتها ومسرحها وصحافتها ومؤسساتها العلمية ، ومؤلفات علمائها المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ودخول أندر نسخة مخطوطة من صحيح البخاري إلى طرابلس والمذاهب

الدينية والنحل التي ظهرت بليبيا والفرق الإسلامية من سنة وشيعة وأباضية والمهديين المنتظرين المزيفين والجماعات الإسلامية الحديثة التي دخلتها أو وجدت بها وتاريخ ظهورها بليبيا ومناقشة أفكارها وعقائدها سياسيا وإسلاميا وثقافيا..

34. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الأولى بعنوان : القطب نجم الدين كبرى رسالتان (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
35. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الثانية بعنوان: المبين الشاهد 29 رسالة (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
36. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الثالثة بعنوان : سياحات القلوب 31 رسالة (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
37. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط منظومة {أهل بدر} للشيخ عبد الله العياشي ت1073هـ،1663م (دراسات إسلامية) مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2001م}.
38. علاج ظاهرة التطرف في ليبيا (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2003م}.
39. منهجية التصنيف السلوكي في التأليف الفقهي المالكي / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2003م}.
40. مسرحية سجين بلا قضبان (مسرح الطفل) / مخطوط {ألفها سنة 2006م}.
41. كأنك تعيش أبدا (الطب البديل)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2006م}.
42. خصائص السيرة النبوية الشريفة (دراسات إسلامية)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة2007م}.
43. المنهج العملي للتحديث {حديث أم زرع نموذجا} (حديث شريف) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2007م}.
44. الكرامة الإسلامية (دراسات إسلامية) / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2007م}.
45. أوبة المهاجر وتوبة الهاجر(ثبت حديث شريف)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
46. سري للغاية / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.

47. أكذوبة الدعوة للإسلام (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
48. وداعا أيتها الدموع(أدب) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
49. موسوعة الأشراف (رؤية جديدة للسيرة النبوية الشريفة) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2010م}.
50. الحب القذر (فقه مستنير) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2010م}.
51. إسلام للبيع (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
52. الإسلام هو الحل (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
53. رحلات أحمد القطعاني (أدب رحلات) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
54. لماذا أبكيتم عصام؟ (أدب) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
55. سالم كريِّم القطعاني وصفحات في تاريخ الوطن (تاريخ)/ نُشر على شبكة النت {أتم تأليفه سنة 2016م}.
56. المسرد الطيع في نسب قبيلة العواكلة آل اسميع (أنساب) / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2011م}.
57. شتاء طرابلس الدامي (تاريخ)/ {ألفه سنة 2011م}.
58. كرائم المسلسلات (ثبت حديث شريف)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2012م}.
59. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط مولد البرزنجي ت 1177هـ،1763م (سيرة نبوية شريفة)/ أكثر من 3 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2013م}.
60. إجازة شيخ الحديث أحمد القطعاني في الأربعين القادرية للشيخ عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني (حديث شريف)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2014م}.
61. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط منظومة {الجوهرة المنثورة} للشيخ عبد السلام الأسمر ت981هـ،1574م (دراسات إسلامية) مخطوط {ألفه سنة 2015م}.
62. من أبطال العرب نجيب بك الحوراني (تاريخ)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2015م}.
63. أزجال الشيخ عبد الرحمن المجذوب في ليبيا / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2015م}
64. تونس الزيتونة والزيتون (أدب رحلات) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.

65. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط {رائية الشريشي} ت641هـ،1243م / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.
66. ثلاثيات البخاري في طرابلس وبنغازي وأوباري (حديث شريف) / مطبوع كما نشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.
67. غنائم المسلسلات (ثبت حديث شريف)/ مخطوط {ألفه سنة 2016م}.
68. تعرُّفُ المُريد على رجالِ حزب التوحيد (المشهور باسم حزب سبحان الدايم للإمام الجزولي)/ مخطوط {ألفه سنة 2016م}.
69. حزب التوحيد {المشهور باسم حزب سبحان الدايم} للإمام محمد بن سليمان الجزولي برواية وتعليقات وضبط وتشكيل الشيخ أحمد القطعاني نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2017م}.
70. نُوارُ العَشِّيَةِ أسانيدِنا في حديثِ الرحمة المُسَلسلِ بالأوليِّةِ (ثبت حديث شريف)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2018م}.
71. فرحةُ المُحبين بألقابِ أولياءِ اللهِ الصالحين / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2018م}.
72. الإجازاتُ العشر(ثبت حديث شريف)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2018م}.
73. العرجون (ديوان شعر) / مخطوط.

<u>إضافة إلى :</u>

مسرحيات وأوبريتات موسيقية منها:

- أوبريت موسيقي بعنوان (الأسوة الحسنة) عرض في يوم السبت 2007/2/3م على مسرح مجمع ذات العماد بطرابلس أداء: فرقة غفران وذلك في أمسية النور بمناسبة دخول مجلة الأسوة الحسنة عامها العاشر .
- أوبريت موسيقي بعنوان (اليقظة) عرض في يوم الجمعة 2008/08/08م بطرابلس أداء: فرقة غفران .
- حولت بعض كتاباته إلى أعمال تلفزيونية وعروض مسرحية.